مُعاذ بْن جَبَل الأنصاري الخزرجي

الصحابي العالم السفير المجاهد

« أعلَمُ أُمّتي بالحلال والحرام مُعاذ بن جبل »

محمد رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم



اللواء الركن محمود شيت خطّاب

(عضو المجمع)

مُعاذ بن جَبَل الأنصاري الخزرجي

الصحابي العالم السفير المجاهد

« أَعْلَمُ أُمّتي بالحلال والحرام مُعاذ بن جبل »

محمد رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم

اللواء الركن محمود شيت خطّاب

(عضو المجمع)

نسبه وأيّامه الأولى

هو مُعَاذ بن جَبَل بن عمرو بن أَوْس بن عائِذ بن عَدِيّ بن كَعْب ابن عمرو بن أُدَيّ بن سَعْد ، وأُدَيّ بن سعد ، هو أخو سَلِمَة بن سعد(١) ، وأُدى بن سَعْد بن عليّ بن أَسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزْرَج(٢) الأنصاري الخزرجيّ ثمّ الجُشَمِيّ . وأُدَيّ الذي يُنسب إليه هو أخو سَلِمَة بن سعد القبيلة التي ينسب إليها من الأنصار ، وقد نسبه بعضهم في بني سَلِمَة ، وادّعته بنو سلمة لأنّه كان أخا سَهْل بن محمّد بن الجَدّ بن قيس لأمّه ، وسَهْل من بني سَلِمَة ، بينما معاذ من بني أُدَيّ ، ولم يبق من بني أُدَيّ أحد ، وعدادهم في بني سَلِمَة (٣) .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣) .

(٢) جمهرة انساب العرب (٣٥٨) وانظر أسد الغابة (٤/٣٧٦) والاستيعاب (٣/١٤٠٢) وفيها : يزيد بن جشم .

(٣) أسد الغابة (٤/٣٧٦) والاستيعاب (٣/١٤٠٣) .

أمّه : هِنْد بنت سَهْل بن جُهَيْنَة ثمّ من بني الرَّبْعَة (٤) .

يُكنى : أبا عبدالرحمن (٥) ، وقد شهد بيعة العَقَبَة الثانية (٦) مع السبعين من الأنصار (٧) ، والصواب مع ثلاث وسبعين رجلاً وامرأتين من الأنصار (٨) ، فبايعوا رسول الله صلّى الله عليه وسلم عند العَقَبَة على أن يمنعوه ممّا يمنعون منه نساءهم وآباءهم وأُزُرَهم (٩) وأن يرحل هو إليهم وأصحابه (١٠) ، وكان ذلك في السنة الثالثة عشرة من النبوّة (١١) .

ولما قدم الأنصار الذين بايعوا النبي صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشِّرك ، منهم عمرو بن الجَمُوْح بن زيد بن حَرَام بن كَعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة . وكان ابنه مُعاذ بن عمرو الذي شهد العَقَبَة وبايع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان عمرو بن الجَمُوْح سيِّداً من سادات بني سَلِمَة وشريفاً من أشرافهم ، وكان قد اتّخذ في داره صَنَماً من خشب يقال له : مَنَاة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتّخذ إلّهاً تُعظِّمه وتُطهِّره ، فلما أسلم فتيان بني سَلِمَة : معاذ بن جبل ، ومعاذ بن عمرو ، وفتيان منهم ممّن أسلم وشهد العَقَبَة ، فكانوا يدلجون باللّيل على صَنَم عمرو بن الجموح ،

---

(٤) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣) وانظر المعارف (٢٥٤) ، وهي اي أمه من جهينة.
(٥) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣) وأسد الغابة (٤/٣٧٦) والاصابة (٦/١٠٦) والاستيعاب (٣/١٤٠٣) .
(٦) أسد الغابة (٤/٣٧٦) .
(٧) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣) .
(٨) سيرة ابن هشام (٢/٤٩) وجوامع السيرة (٧٥) .
(٩) الأزر : جمع ازار ، وهو كناية عن المرأة والنفس ، والثانية هي المقصودة هنا .
(١٠) جوامع السيرة (٧٤) والدرر (٧٤) .
(١١) البدء والتاريخ (٤/١٦٦) .

فيحملونه ويطرحونه في بعض حُفر بني سَلِمَة وفيها عِذَرُ(١٢) الناسُ مُنكّساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال « ويلكم ! مَنْ عدا على آلهتنا هذه اللّيلة ؟ ! » ثمّ يلتمس الصَّنَم ، حتى إذا وجده غسّله وطهّره وطيّبه ثم قال : « أما والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بك لأُخْزِيَنّهُ » ، فإذا أمسى ونام عمرو عَدَوا عليه ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطهّره ويُطَيِّبه . ثمّ يَعْدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطهّره وطيّبه ، ثمّ جاء بسيفه فعلّقه عليه ، ثمّ قال له : « إني والله ما أعلمَ مَنْ يَصْنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خَيْرٌ فامتنع ، فهذا السّيف معك » ، فلما أمسى ونامَ عمرو عَدَوا على صَنَمه ، فأخذوا السّيف من عُنُقه ، ثمّ أخذوا كلباً مَيْتاً فقرنوه به . بحَبْلٍ . ثمّ أَلْقَوْه في بئر من آبار بني سلمة فيها عِذَر من عِذَر النّاس ، وغَدَا عمرو بن الجَموح فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر مُنَكّساً ، مقروناً بكلبٍ ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلّمه مَنْ أسلم من قومه ، فأسلم رحمه الله وحسن إسلامه (١٣) . وكان معاذ بن جبل يكسر أصنام بني سَلِمَة لما أسلم هو وثَعْلَبَة بن عَنَمَة وعبدالله بن أُنَيْس (١٤). فكان داعياً إلى الله ولا يسكت عن الذين لا يهتدون من قومه ، فيكسر أصنامهم .

وكان عُمُرُ معاذ لما أسلم ثماني عشرة سنة (١٥) ، وكان من أفضل شباب الأنصار حلماً وحياءً وسخاء (١٦) .

---

(١٢) عذر : جمع عذرة ، وهي الغائط .
(١٣) سيرة ابن هشام (٢/٦١ ـ ٦٢) .
(١٤) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣) وانظر أسد الغابة (٤/٣٧٨) .
(١٥) أسد الغابة (٤/٣٧٦) وتهذيب التهذيب (١٠/١٨٦) .
(١٦) الاصابة (٦/١٠٧) .

وفي رواية أخرى . أنّ سبب إسلام معاذ ، أنّ عبدالله بنَ رَواحة كان أخاً لمعاذ في الجاهليّة ، وكان لمعاذ صَنَمٌ ، فأتى عبدُ الله منزل معاذ ، ومعاذٌ غائب ، ففلذ (١٧) صنم معاذ فِلَذاً ، فاما رجع معاذ وجد امرأته تبكي ، فقال : « ما وراءك ؟ ! » ، فأخبرته بصنيع ابن رَوَاحة بإلهه ، فتفكّر معاذ في نفسه وقال : « لو كان عند هذا طائل ، لامتنع » ، ثمّ جاء إلى عبدالله بن رَوَاحة ، وقال : « انطلق بنا إلى رسول الله » فانطلق به فأسلم (١٨) ، حيث رافقه إلى بيعة العَقَبَة التي شهدها معاذ وشهدها عبدالله بن رَوَاحة أيضاً ، اختار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ابن رَوَاحة نقيباً من بين اثني عشر نقيباً اختارهم عليه الصّلاة والسلام (١٩) .

لقد كان معاذ من أوائل من أقبل على اعتناق الإسلام من الأنصار ، فأقبل على اعتناقه وإقبال الشباب على ما يحبّ ، فسعى إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في موطنه مكّة ، قبل هجرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من مكّة إلى المدينة ، فلما عاد معاذ من رحلة الإيمان إلى المدينة ، عاد إليها داعياً إلى الله ، يعيش للدعوة لا لنفسه ، وينتظر مع الأنصار هجرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهجرة المهاجرين إلى دار الهجرة ، ليكونوا يداً واحدة في خدمة الإسلام والمسلمين .

جهاده

شهد معاذ غزوة (بَدْر) الكبرى (٢٠) الحاسمة التي كانت في شهر

(١٧) فلذ الشيء فلذا : قطعه . والفلذ : جمع الفلذة ، وهي القطعة من الكبد واللحم والذهب والفضة .

(١٨) البدء والتاريخ (٥/١١٧ ـ ١١٨) .

(١٩) سيرة ابن هشام (٢/٦٧) وانساب الأشراف (١/٢٤٤) والمحبر (٢٦٩) .

(٢٠) سيرة ابن هشام (٢/٣٤٧) ومغازى الواقدي (١/١٧٠) والدرر (١٣٤) وجوامع السيرة (١٣٩) .

رمضان من السنة الثانية الهجريّة ، وقد شهد هذه الغزوة وهو ابن عشرين أو إحدى وعشرين سنة (٢١) .

وشهد معاذ غزوة (أُحُد) (٢٢) التي كانت في شهر شوّال من السنة الثالثة الهجريّة ، وفي هذه الغزوة استشهد حمزة بن عبدالمطلب عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما هو معروف ، فمضى سعد بن مُعاذ رضي الله عنه إلى نسائه وساقهن ، فلم تبق امرأة إلاّ جاء بها إلى بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فبكين بين المغرب والعشاء حمزة رضي الله عنه ، فلما سمع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم البكاء قال : « ما هذا ؟ ! » ، فقيل : نساء الأنصار يبكين على حمزة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « رضي الله عنكنّ وعن أولادكُنّ ! » ، وأمر أن ترد النساء إلى منازلهم ، وكان معاذ بن جبل قد جاء بنساء بني سَلِمَة فبكيْنَ على حَمْزَة مع نساء الأنصار (٢٣) .

وشهد معاذ غزوة (المُرَيْسيع)(٢٤)، وكان مع المسلمين ثلاثون فرساً : في المهاجرين منها عشرة ، وفي الأنصار عشرون ، وكان معاذ من بين الأنصار فارساً ، (٢٥) وكانت هذه الغزوة في شهر شعبان من السنة الخامسة الهجريّة .

وشهد غزوة يهود بني (قُرِيْظة) ، وكان مع المسلمين ستة وثلاثون فرساً ، وكان معاذ أحد فرسان الأنصار (٢٦) ، وكانت هذه الغزوة في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة الهجرية .

---

(٢١) طبقات ابن سعد (٣/٥٩٠) .
(٢٢) اسد الغابة (٤/٣٧٦) .
(٢٣) مغازى الواقدي (١/٣١٦ ـ ٣١٧) .
(٢٤) المريسيع : اسم ماء في ناحية قديد الى الساحل ، انظر معجم البلدان (٨/٤١) ، وهو ماء لخزاعة ، بينه وبين الفرع نحو يوم ، انظر وفاء الوفا (٢/٣٧٣) .
(٢٥) مغازى الواقدي (١/٤٠٥) .
(٢٦) مغازى الواقدي (٢/٤٩٨) .

وشهد معاذ غزوة (خَيْبَر) ، فقسم النبي صلّى الله عليه وسلّم الغنائم بين المسلمين ، وجعل رؤساء على المسلمين ، لكلٍّ مائة رجل منهم رئيس ، وكان رئيس بني سَلِمَة معاذ (٢٧) ، وكانت هذه الغزوة في شهر المحرّم من السنة السّابعة الهجريّة .

وشهد غزوة فتح (مكّة) فاستعمله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على أهل مكّة يُعلِّمهم السُّنَنَ والفقه ، ثم خرج عليه الصّلاة والسّلام مع الصّحابة إلى (حُنَيْن)(٢٨) ، وكانت غزوة فتح مكّة في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجريّة .

وبعد عودة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالمسلمين من غزوة (حُنَيْن) والطّائف إلى مكة ، وعودته بهم من مكّة إلى المدينة ، خلّف معاذ بن جبل في مكّة يعلِّم الناس القرآن والفِقه (٢٩) فنهض بواجبه التعليمي على أحسن وجه.

وشهد معاذ غزوة (تَبُوْك) ، وكان الناس مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثين ألفاً ، ومن الخيل عشرة آلاف فرس . وأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلّ بَطْنٍ من الأنصار أن يتخذوا راية ، والقبائل من العرب فيها الرايات والألوية . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد دفع راية بني مالك بن النّجّار إلى عُمَارَة بن حَزْم . فأدرك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم زيدُ بن ثابت ، فأعطاه الرّاية . قال عُمارة : « يا رسول الله ! لعلّك وَجَدْتَ عليّ ! » (٣٠) ، قال : « لا واللهِ ، ولكن قدِّموا

(٢٧) مغازي الواقدي (٢/٦٨٩ ــ ٦٩٠) .
(٢٨) مغازي الواقدي (٣/٨٨٩) وطبقات ابن سعد (٢/٣٤٨) وانساب الاشراف (١/٣٩٥) وابن الاثير (٢/٢٧٢) .
(٢٩) مغازي الواقدي (٣/٩٥٩) وسيرة ابن هشام (٤/١٤٩) .
(٣٠) وجد على : غضب على ، انظر النهاية (٤/١٩٦) .

القرآن ، وكان أكثر أخذاً للقرآن منك ، والقرآن يُقَدِّم ، وإن كان عبداً أسود مُجَدَّعا » (٣١) . وأمر في الأوس والخزرج أن يحمل راياتهم أكثرهم أخذاً للقرآن ، وكان معاذ بن جبل يحمل راية بني سَلِمَة (٣٢) .

وكان كعْب بن مالك الأنصاري أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا ، فلم يشهد غزوة تبوك مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فذكر كعب قصّة تخلّفه فقال : « . . . وغزا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تلك الغزوة – حين طابت الثمار ، وأُحِبّت الظِّلال ، فالناس إليها صُعْر (٣٣) ، فتجهّز رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتجهّز المسلمون معه ، وجعلتُ أغدو لأتجهّز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردتُ ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شَمّرَ بالناس الجِد ، فأصبح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت : أتجهّز بعده بيوم أو يومين ثم ألحق بهم ، فغدوتُ بعد أن فَصَلُوا لأتجهّزَ ، فرجعتُ ولم أقْضِ شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتَفَرَّطَ (٣٤) الغزو ، فهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت ، فلم أفعل . وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فطُفْتُ فيهم يُحْزنني أني لا أرى إلاّ رجلاً مَغْمُوْصاً عليه (٣٥) في النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء . ولم يذكرني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بلغ

(٣١) المجدع : المقطوع الأنف ، انظر النهاية (١/١٤٨) .
(٣٢) مغازى الواقدي (٣/١٠٠٢ – ١٠٠٣) .
(٣٣) صعر : بضم فسكون ، جمع اصعر ، وهو المائل ، ومنه قوله تعالى : (ولا تصعر خدك للناس) ، أي لاتعرض عنهم ولاتمل وجهك الى جهة اخرى .
(٣٤) تفرط الغزو : فات وسبقني ، والفارط والفرط – كبطل – السابق المتقدم ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : «أنا فرطكم في الحوض» .
(٣٥) مغموصا عليه : مطعونا عليه ، تقول : غمصت الرجل : اذا طعنت عليه .

تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعبُ بن مالك ؟ ! فقال رجل من بني سَلِمَة : يا رسول الله ! حَبَسَهُ بُرْداه والنَّظَر في عِطْفَيْهِ ! فقال له مُعاذ : بئس ما قلتَ ، والله يا رسول الله ما علمنا منه إلاّ خيراً (٣٦) .

وهكذا يدافع معاذ عن الحقّ بالحق ، ولا يسكت عن غمز أحد إخوانه بدون حق .

ولما عاد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالمسلمين من تبوك إلى المدينة المنوّرة ، فسأل كعب بن مالك عن سبب تخلّفه ، قال كعب : « . . . والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلّفت عنك ! » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « أما أنت ، فقد صدقت ، فقُمْ حتى يقضي الله عزّ وجلّ فيك » ، فقام كعب ، وقام معه رجال من بني سَلِمَة ، فقالوا له : « والله ما علمناك كنتَ أذنبت ذنباً قبل هذا ! وقد عجزت الاّ تكون اعتذرت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما اعتذر إليه المُخلّفون ، فقد كان كافيك ذَنْبَكَ استغفارُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لك » . فما زالوا به يؤنبونه حتى أراد أن يرجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيكذِّب نفسه ، ولكنه لقي معاذ بن جبل وأبا قَتَادَة ، فقالا له : « لا تُطِعْ أصحابَك وأقِمْ على الصِّدْق ، فإنّ الله سيجعل لك فرجاً ومخرجا إن شاء الله ! » (٣٧) .

وهكذا دافع معاذ عن الحق ، وأمر بالصِّدق ، وأنقذ صاحبه من الوقوع في الكذب ، والنجاة في الصِّدق وحده .

وكانت غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة الهجريّة ، وكانت

(٣٦) سيرة ابن هشام (٤/١٨٨ ـ ١٨٩) .
(٣٧) مغازي الواقدي (٣/١٠٥٠) ، وانظر سيرة أبي قتادة في كتابنا : قادة النبي صلى الله عليه وسلم .

آخر غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وقد شهد معاذ مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المشاهد كلّها (٣٨) ، ولم يتخلّف عن مشهد من المشاهد ، إلا غزوة (حُنَيْن) وغزوة (الطّائف) ، فقد خلّفه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في مكّة لتعليم أهلها السُّنَن (٣٩) .

وقد ذكرنا الغزوات التي ورد ذكر معاذ فيها . في المصادر المعتمدة المتيسرة بين يديّ ، ولم يرد ذكره في الغزوات الأخرى ، إذ لا يمكن أن تذكر أسماء جميع الصحابة الذين شهدوا كلّ غزوة من غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلم وحسب أحدهم أن يذكر في بعض الغزوات . ويذكر بأنه شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو شهد قسماً منها ولم يشهد قسماً آخر منها لسبب أو لآخر .

وبذلك نال معاذ شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبي صلّى الله عليه وسلّم .

السفير :

كتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى ملوك اليمن : الحارث ، ومَسْروح ، ونُعَيْم بن عبد كُلال من حِمْيَر ، يدعوهم إلى الإسلام .

وكان نص كتاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم :

سِلْم أنتم ما آمنتم بالله ورسوله . وإنّ الله وحده لا شريك له ، بعث موسى بآياته ، وخلق عيسى لكلماته ، قالت اليهود : عُزَيْرٌ ابن الله ، وقالت النصارى : الله ثالثُ ثلاثةٍ ، عيسى ابن الله (٤٠) .

الله

علامة الختم رسول

محمد

(٣٨) اسد الغابة (٣٧٦/٤) والاستيعاب (١٤٠٢/٣) والجامع (٤٩٣/٤) .
(٣٩) انساب الأشراف (٣٥٦/١) .
(٤٠) انظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (١٤٣) .

ولا نعلم مَن حمل رسالة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى ملوك حِميَر ، ولا موعد إرسال هذه الرسالة ولكن من الواضح أنها أرسلت بعد فتح مكّة الذي كان في رمضان من السنة الثامنة الهجرية ، لأنّه لا يمكن إرسال مثل هذه الرسالة قبل الفتح ، لأنّ مكّة التي كانت بيد قريش كانت الحاجز بين المنطقة الإسلامية التي مقرّها المدينة ، وبين المنطقة غير الإسلامية التي مقرّها مكة وتمتد نحو الجنوب إلى اليمن وجنوبي الجزيرة العربية . ويحتمل أنّه أرسلَ كتابه هذا إلى ملوك اليمن مُنْصرفه من (الجِعْرانَة) (٤١) في طريقه إلى مكّة للعُمْرَة، كما فعل في إرسال كتب أخرى إلى ملوك ورؤساء آخرين (٤٢) إذ أصبح الطريق إلى اليمن وإلى غيرها سالكاً مفتوحاً .

وكان مُنْصَرفُ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم من الجِعْرانَة في شهر ذي القعدة من السنة الثامنة الهجرية (٤٣) .

وفي شهر رمضان السنة التاسعة الهجريّة ، قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كتاب ملوك حِمْيَر مَقْدَمه من تَبوك رسولهم إليه بإسلامهم : الحارث بن عبد كُلال ، ونُعَيْم بن عبد كُلال ، والنُّعمان قَيْل ذي رُعَيْن ، وهَمْدان ، ومَعافِر ، كما بعث زُرْعَة ذو يَزَن إليه مالك بن مُرَّة الرَّهاويّ باسلامه وإسلام ملوك اليمن ، ومفارقتهم الشّرك وأهاه (٤٤) .

وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى أهل اليمن كتاباً يخبرهم فيه بشرائع الإسلام وفرائض الصَّدقة في المواشي والأموال ، ويوصيهم بأصحابه ورسله خيراً ، وكان رسوله إليهم مُعَاذ ومالك بن مُرارة .

---

(٤١) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي الى مكة اقرب ، نزلها النبي صلى الله عليه وسلم فقسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٥/٣) .

(٤٢) طبقات ابن سعد (٢٦٣/١) .

(٤٣) طبقات ابن سعد (١٧٠/٢) .

(٤٤) الطبري (١٢٠/٣) .

والصواب أنّه مالك بن مُرارة الرَّهاويّ (٤٥) منسوب إلى رَهاء بن مُنَبِّة بن حرب قبيلة من مَذْحِج (٤٦) .

وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عدّة من أهل اليمن سمّاهم ، منهم : الحارث بن عبد كُلال ، وشُرَيْح بن عبد كُلال ، ونُعَيْم بن عبد كُلال ، ونعمان قَيْل (٤٧) ذي يَزَن ، ومَعَافِر ، وهَمْدان ، وزُرَعة ذي رُعَيْن ، وكان قد أسلم من أوّل حِمْيرا ، وأمرهم أن يجمعوا الصّدقة والجزية فيدفعوهما إلى معاذ بن جبل ومالك بن مُرارة ، رسول أهل اليمن إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بإسلامهم وطاعتهم ، فكتب إليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنّ مالك بن مُرارة قد بلّغ الخبر وحفظ الغيب .

وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بني معاوية من كِنْدَة ، بمثل ذلك .

وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بني عمرو من حِمْيَر يدعوهم إلى الإسلام (٤٨) .

وكان نصّ جواب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على كتاب ملوك اليمن الذي بعثوه إليه بإسلامهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : محمّد رسول الله النبيّ .

الى : الحارث بن عبد كُلال ، وإلى نُعَيْم بن عبد كُلال . وإلى النُّعْمان قَيْل ذي رُعَيْن ومَعَافِر وهَمْدان :

---

(٤٥) انظر سيرته في : أسد الغابة (٢٩٣/٤) والاصابة (٣١/٦) والاستيعاب (١٣٥٨/٣) .

(٤٦) الاصابة (٣١/٦) .

(٤٧) القيل : يقال هو الملك ، ويقال بل هو دون الملك الاعلى ، وهذا هو الاكثر. وسمي بذلك لانه ذو القول ، أي : الذي اذا قال لم يرد أحد قوله .

(٤٨) طبقات ابن سعد (٢٦٤/١ ـ ٢٦٥) .

أما بَعْد ذلكم ، فإني أحمد إليكُم الله الذي لا إله إلاّ هو .

أما بَعْدُ ، فإنّه قد وَقَعَ بنا رسولُكم مُنْقَلَبنَا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلّغ ما أرسلتُم به ، وخبّرَ ما قِبلَكُمْ ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأنّ الله قد هداكم بهُداهُ إنْ أصلحتُم وأطعتم الله ورسولَه وأقمتم الصّلاةَ وآتيتُمُ الزّكاةَ وأعطيتم من المغانم خُمُسَ الله وسَهْم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وَصَفِيّهُ (٤٩) وما كُتِب على المؤمنين من الصّدقة من العَقَار (٥٠) عشر ما سقت العَيْنُ وسقت السّماء ، وعلى ما سقى الغَرْبُ (٥١) نصف العُشْر . إنّ في الإبل الأربعين ابنة لَبُوْن ، وفي كلّ عشر من الإبل شاتان ، وفي كلّ أربعين من البقر بَقَرة ، وفي كلّ ثلاثين من البقر تَبِيع (٥٣ جذَع (٥٤) أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغَنَم سائمة وحدها شاة ، وإنّها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومَنْ أدّى ذلك وأشْهَدَ على إسلامه وظاهَرَ المؤمنين (٥٥) على المشركين فإنّه من المؤمنين : له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمّة الله وذمّة رسوله ، وإنّه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ فإنه من المؤمنين : له مالهم ، وعليه ما عليهم ومَن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنّه لا يُردّ عنها وعليه الجِزْيَة على كل (٥٦) حالم ذكر أو أنثى

---

(٤٩) الصفي : مايصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل أن تقسم الغنائم ، وهو فعيل بمعنى مفعول .
(٥٠) العقار ــ بزنة سحاب : هو ههنا الارض التي تزرع .
(٥١) الغرب ــ بفتح وسكون : هي الدلو العظيمة .
(٥٢) ابن لبون : ولد الناقة اذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة ، لان امه ولدت غيره فصار لها لبن ، وهي ابنة لبون وبنت لبون .
(٥٣) التبيع : ولد البقرة .
(٥٤) الجذع : ما استكمل سنتين ودخل في الثالثة .
(٥٥) ظاهر المؤمنين : عاونهم وقواهم وكان معهم على من سواهم . عاون وآزر .
(٥٦) الجزية : خراج الارض ، وما يؤخذ من أهل الذمة .

حر أو عبدٍ دينار وافٍ من قيمة المعافر (٥٧) أو عوضه ثياباً ، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فإن له ذمّة الله ورسوله ، ومَنْ منعه فإنّه عدوٌ لله وارسوله .

أما بَعْدُ ، فإنّ رسول الله محمّداً النبيّ أرسل إلى زُرعَة ذي يزَن ، أن إذا أتاكم رُسُلي فأوصيكم بهم خيراً : مُعَاذ بن جبَل ، وعبدالله بن زَيْد ، ومالك بن عُبَادة ، وعُقْبَة بن نَمِر ، ومالك بن مُرَّة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصّدقة والجزية من مخاليفكم (٥٨) وأبلغوها رُسُلي ، وإن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلبنّ إلاّ راضياً .

أما بَعْدُ ، فإنّ محمّداً يشهد أن لا إلَهَ إلاّ الله ، وأنّه عبده ورسوله .

ثمّ إنّ مالك بن مُرَّة الرّهاوي قد حدثني أنّك أسلمتَ من أوّل حِميْرَ وقتلت المشركين . فأبشرْ بخيرٍ ، وآمرك بحِميْرَ خيراً ، ولا تخونوا ، ولا تَخَاذَلُوا ، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هو مولى غنيّكم وفقيركم ، وإنّ الصدقة لا تحلّ لمحمّد ولا لأهل بيته ، إنّما هي زكاةٌ يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل . وإنّ مالكاً قد بلّغ الخبر وحَفِظَ الغَيْبَ ، وآمركم به خيراً ، وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآمركم بهم خيراً ، فإنهم منظورٌ إليهم ، والسّلام عايكم ورحمة الله وبركاته (٥٩) .

الله

علامة الختم رسول

محمد

---

(٥٧) المعافر : ثياب من ثياب اليمن .

(٥٨) المخاليف : جمع مخلاف ، وهي الكورة ، وفي الاصطلاح الحديث : المحافظة .

(٥٩) نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم من سيرة ابن هشام (٤/٢٥٨–٢٦٠)، وانظر الطبري (٣/١٢٠ – ١٢٢) واليعقوبي (٢/٦٤ – ٦٥) ، وانظر تفاصيل المصادر – والمراجع من : مجموعة الوثائق السياسية (١٤٤) وبعض الاختلاف في بعض النصوص من (١٤٧ – ١٤٨) .

وحين بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مُعَاذاً ، أوصاه وعهد إليه ، ثمّ قال : « يَسِّر ولا تُعَسِّرْ ، وبَشِّر ولا تُنَفِّرْ ، وإنّك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك : ما مفتاح الجنّة ؟ فقل : شهادة ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له » (٦٠)

كما كتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى عَرِيب بن عبد كُلال وهو أخو الحارث بن عبدُ كُلال ، وكان إليهما أمر حِمْيَر (٦١) في اليمن .

ولم يُرْوَ نص الكتاب .

وكتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى فَهد الحِمْيَريّ من أقيال أهـل اليمن ممن أسلم ، وفيه يقول الشّاعر :

ألا إنّ خير النّاس كلّهم فَهْدُ وعبد كُلال خيرسائرهم بَعْدُ(٦٢)

ولم يُرْوَ نصّ الكتاب .

وكتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى عبدالعزيز بن سَيْف بن ذي يَزَن الحِمْيَرِي ، والمشهورأنّ النبيّ صلّىالله عليه وسلّم كتب إلى أخيه زُرْعَة(٦٣)

كما كتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى عُمَيْر ذي مَرَّان (٦٤) أحد رؤساء هَمْدان ، وهو عُمَيْر بن أفلَح بن شَرَاحيل بن ربيعة وهو ناعِط ، وقيل اسمه : عُمَيْرَة (٦٥) ، والأول أصحّ .

وكان نصّ الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ، من : محمّد رسول الله .

---

(٦٠) سيرة ابن هشام (٤/٢٦٠) .
(٦١) أسد الغابة (٣/٤٠٧) والاصابة (٥/١٠٦) .
(٦٢) الاصابة (٥/٢١٩) .
(٦٣) أسد الغابة (٣/٣٢٩) والاصابة (٤/١٨٩) .
(٦٤) انظر ترجمته في : أسد الغابة (٤/١٤٧) .
(٦٥) جمهرة انساب العرب (٣٩٣) .

الى : عُمَيْر ذي مَرَّان ، ومَنْ أسلم من هَمْدان .

سِلْمٌ أنتم . فإني أحمد الله إليكم الذي لا إلَه إلاّ هو .

اما بعْدَ ذلك : فإنّه بلغني إسلامكم مرجعنا من أرض الرُّوم ، فأبشروا فإنّ الله قد هداكم بِهُداه . وإنكم إذا شهدتم أن لا إلَه إلاّ الله ، وأنّ محمّداً عبدالله ورسوله ، وأقمتم الصّلاة ، وآتيتم الزّكاة ، فإنّ لكم ذمّة الله وذمّة رسوله ، على دمائكم وأموالكم وأرض البور التي أسلتم عليها ، سهلها وجبلها وعيونها وفروعها ، غير مظلومين ولا مضيّق عليكم .

وإنّ الصَّدقة لا تحلّ لمحمّد ولا لأهل بيته ، إنّما هي زكاة تزكونها عن أموالكم لفقراء المسلمين .

وإنّ مالك بن مُرَارة الرَّهاويّ قد حفظ الغيب وبلّغ الخبر ، فآمركم به خيراً ، فإنّه منظور إليه .

وكتب عليّ بن أبي طالب (٦٦)

الله

علامة الختم　　　　رسول

محمّد

لقد بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مُعَاذ بن جَبَل الى اليمن في شهر ربيع الآخر من السنة التاسعة الهجريّة (٦٧) ، والصواب انه بعثه بعد غزوة (تَبوك) (٦٨) التي كانت في شهر رجب من السنة التاسعة الهجرية التيشهدها مُعاذ مع النبي صلّى الله عليه وسلّم ، وبعد شهر رمضان المبارك من السنة التاسعة الهجريّة كما ورد في نصّ رسالة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الجوابية

(٦٦) أسد الغابة (١٤٧/٤) واليعقوبي (٦٥/٢) ، وانظر المصادر والمراجع الاخرى في : مجموعة الوثائق السياسية (١٥٢ ــ ١٥٣) .

(٦٧) طبقات ابن سعد (٥٨٤/٣) .

(٦٨) الجامع (٤٩٢/٤) .

إلى ملوك اليمن ، فقد قدم المدينة رسولهم في رمضان المبارك بإسلامهم ، فأجابهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وحمل رسالته إليهم معاذ .

وقد بعثه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى اليمن سفيراً ، وقاضياً ، ومرشداً (٦٩) يعلّم الناس القرآن وشرائع الإسلام (٧٠) ويقبض الصّدقة من عمّال اليمن (٧١).

وقد حمل ما بعث به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من رسائل إلى ملوك اليمن ، فبلّغ الملوك وأدّى الأمانة ، فكان نعم السفير .

ولكن لم يقتصر واجبه على السفارة ، بل كان قاضياً يقضي بين الناس بالعدل ، ومرشداً يرشدهم إلى طريق الحق ، ومعلّماً يعلّم القرآن والسنن وشرائع الإسلام ، ووالياً يجبى الزكاة والصّدقة من العمال الآخرين .

لقد أدّى معاذ واجبه بالرغم من ثقله وصعوبته على أحسن وجه .

في حروب ردّة اليَمَن

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد بعث معاذاً قاضياً إلى (الجَنَد) (٧٢) من اليمن ، يعلّم الناس القرآن وشرائع الإسلام ، ويقضي بينهم ، وجعل إليه قبض الصدقات من العُمّال الذين باليمن .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد قسم اليمن على خمسة رجال : خالد بن سعيد (٧٣) على صَنْعَاء ، والمهاجر بن أبي أُمَيّة (٧٤) على

---

(٦٩) الجامع (٤/٤٩٢) . (٧٠) الاستيعاب (٣/١٤٠٣) .

(٧١) أنساب الأشراف (١/٥٢٩) .

(٧٢) الجند : أعظم أقسام اليمن ، وهي من أرض السكاسك ، وبين الجند وصنعاء ثمانية وخمسون فرسخا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٤٧ ـ ١٤٩) .

(٧٣) هو خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس القرشي الأموي ، انظر تفاصيل سيرته في : أسد الغابة (٢/١٨٢ ـ ٨٤) والاستيعاب (٢/٤٢٠ ـ ٤٢٤) والاصابة (٢/٩١ ـ ٩٢) .

(٧٤) المهاجر بن ابي امية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، انظر تفاصيل سيرته في : اسد الغابة (٤/٤٢٢ ـ ٤٢٣) والاصابة (٦/١٤٤ ـ ١٤٥) .

(كِنْدَة)(٧٥) وزياد بن لبيد(٧٦) على حَضْرَمَوْت ، ومُعَاذ بن جَبَل على الجَنَد ، وابي موسى الأشعري (٧٧) على (زَبِيْد)(٧٨) وعَدَن والسّاحل (٧٩) ، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمعاذ حين وجّهه إلى اليمن : « بِمَ تَقضي ؟ » ، قال : « بما في كتاب الله » ، قال : « فإن لم تَجِد ؟ » ، قال : « بمـا في سُنّة رسول الله » ، قال : « فإن لم تجد ؟ » ، قال : « أجتَهِدُ رأيي » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسول الله لما يحب رسول الله » (٨٠) ، فكان معاذ على الجَنَد بخاصة ، ولكنّـه كان معلّما يتنقّل في عمالة كلّ عامل باليمن وحَضْرَمَوْت (٨١) .

وكان الأسود العَنْسِيّ ، واسمه: عَيْهَلَة بن كعب العَنْسِيّ ، وعَنْس بطن

(٧٥) كندة : مخلاف باليمن على اسـم كندة القبيلة ، انظـر معجم البلـدان (٢٨٤/٧) ، وكندة قبيلة عظيمة من قبائل اليمن ، وكندة اسمه ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، انظر جمهرة انساب العرب (٤٢٥ ـ ٤٢٩) .

(٧٦) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنداد الانصـاري الخزرجي ، انظر تفاصيل سيرته في : اسـد الغابة (٢١٧/٢) والاسـتيعاب (٥٣٣/٢ ـ ٥٣٤) والاصابة (٢٠/٣) وطبقات ابن سعد (٥٩٨/٣) .

(٧٧) ابو موسى الاشعري : انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح فارس (١٧٨ ـ ١٩٢) .

(٧٨) زبيد : اسم وادي به مدينة يقال لها : الحصيب ، ثم غلب عليها اسـم الوادي ، فلا تعرف الا به ، وهي مدينة مشهورة باليمن وبازائها ساحل المندب ، انظر التفاصيل من معجم البلدان (٣٧٥/٤ ـ ٣٧٦) .

(٧٩) الاستيعاب (١٤٠٣/٣) والطبري (٤٢٧/٣) وابن الأثير (٤٢١/٢) والمحبر (١٢٦) وانسـاب الاشراف (٥٢٩/١) وتاريخ خليفة بن خياط (٦٢/١) . وانظر طبقات ابن اسعد (٥٨٦/٣) .

(٨٠) رواه ابو داود واحمد ، انظر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث (٢٦٦/٧) .

(٨١) الطبري (٢٢٨/٣) وابن الأثير (٣٣٦/٢) .

من مَذْحِج،وكان يلقب: ذا الخمار ، لأنّه كان معتماً متخمّراً أبدا (٨٢) .

ولما عاد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من حجة الوداع التي كانت سنة عشر الهجرية (٨٣) إلى المدينة المنوّرة وتمرّض من السفر غير مرض موته ، باغ الأسود العَنْسي ذلك ، فادّعى النبوّة ، وكان مُشعبذاً يُريهم الأعاجيب ، فاتّبعته مَذْحِج ، وكانت رِدّة الأسود أوّل رِدَّة في الإسلام على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وغزا (نَجْران) (٨٤)فأخرج عنها عمرو بن حَزْم (٨٥) وخالد بن سعيد .

ووثب قيس بن عبد يغوث بن مَكْشُوح (٨٦) على فَرْوة بن مُسَيْك(٨٧) وهو على مُراد (٨٨) ، فأجلاه ونزل منزله .

وسار الأسود عن نجران إلى صَنْعاء . فخرج إليه شَهْر بن باذان (٨٩) فلقيه ، فقُتل شَهْر لخمس وعشرين ليلة من خروج الأسود .

وانحاز معاذ بأبي موسى الأشعري وهو بـ (مَأْرِب) (٩٠) ، فلحقا

---

(٨٢) ابن الأثير (٣٣٩/٢) وانظر جمهرة انساب العرب (٤٠٥) .

(٨٣) العبر (١٢/١) .

(٨٤) نجران : من مخاليف اليمن من ناحية
معجم البلدان (٢٥٨/٨ ــ ٢٦٥) .

(٨٥) عمرو بن حزم الانصاري الخزرجي النجاري ، انظر سيرته المفصلة في أسد الغابة (٩٨/٤) والاصابة (٢٩٣/٤) والاستيعاب (١١٧٢/٣) .

(٨٦) قيس بن عبد يغوث بن مكشوح المرادي ، انظر سيرته في أسد الغابة (٢٢٢/٤) و (٢٢٧/٤) و الاصابة (٢٦٥/٥) .

(٨٧) فروة بن مسيك المرادي ، انظر سيرته المفصلة في : أسد الغابة (١٨٠/٤) والاصابة (٢٠٩/٥) والاستيعاب (١٢٦١/٣) .

(٨٨) مراد بن مالك بن ادد بن مذحج ، انظر جمهرة انساب العرب (٤٠٦) .

(٨٩) شهر بن باذان : انظر سيرته المفصلة في أسد الغابة (٦/٣) والاصابة (٢٢٦/٣) .

(٩٠) مأرب : بلاد الازد باليمن ، واسم قصر كان لهم ، وقيل : هو اسم لكل ملك كان يلي سبأ ، واسم سد في اليمن ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٤/٧) .

بحضرموت ، ولحق بفَرْوَة بن مُسَيْك مَنْ تَمَّ على إسلامه من مَذْحِج .

واستتبَّ للأسود مُلْك اليمن ، ولحق أمراء اليمن إلى الطّاهر بن أبي أبي هالة (٩١) والطّاهربجبال (عَكّ)(٩٢) وجبال صنعاء ،وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى الطّائف إلى البحرين والأحساء إلى عَدَن ، واستطار أمره كالحريق ، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شَهْراً سوى الركبان ! ولكنّ أمره استغلظ ، وكان خليفته على مَذْحِج عمرو بن مَعْدِي كَرِب (٩٣) ، وكان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث ، وأمر الأبناء (الفُرْس) إلى فيروز وداذَوَيْه .

وكان الأسود تزوّج امرأة شهر بن باذان بعد قتله ، ولأهي ابنة عم فيروز وخـاف مَن بحضرموت من المسلمين أن يبعث الأسـود إليهم جيشاً أو يظهر بها كذّاب مثل الأسود ، فتزوّج معاذ الى قبيلة السّكُون (٩٤) ، فعطفوا عليه .

وجاء إليهم وإلى مَنْ باليمن من المسلمين كُتُبُ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يأمرهم بقتال الأسود ، فقام معاذ في ذلك ، وقويت نفوس المسلمين ، وكان الذي قدم بما كتب النبي صلّى الله عليه وسلّم وَبْرَة بن يُحَنِّس الأَزْدِي (٩٥) . قال جِشْنَس الدَّيْلَمي (٩٦) : « فجاءتنا كتب النبيّ صلّى

(٩١) الطاهر بن أبي هالة الاسدي التميمي : انظر تفاصيل سيرته في أسد الغابة (٣/٥٠) والاصابة (٣/٢٨٣) .

(٩٢) عك بن عدنان ، انظر جمهرة أنساب العرب (٣٢٨) ، وهي قبيلة يضاف اليها مخلاف باليمن ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٠٤) .

(٩٣) عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، انظر تفاصيل سيرته في أسد الغابة (٤/١٣٢) والاصابة (٥/١٨) والاستيعاب (٣/١٢٠١) .

(٩٤) هي قبيلة السكون بن أشرس بن كندة اليمنية ، انظر جمهرة انساب العرب (٤٢٩) .

(٩٥) انظر سيرته المفصلة في : أسد الغابة (٥/٨٣) والاصابة (٦/٣١٤) والاستيعاب (٤/١٥٥١) .

(٩٦) احد الفرس الذين كانوا في اليمن حينذاك ، والد يلم من الفرس .

الله عليه وسلّم يأمرنا بقتاله إما مصادمةً أو غيلة – يعني إليه وإلى فيروز وداذَويه – وأن نكاتب مَنْ عنده دِيْنٌ ، فعملنا في ذلك ، فرأينا أمراً كثيفاً . وكان الأسود قد تغيّر لقيس بن عبد يَغوث ، فقلنا : إنّ قيساً يخاف على دمه ، فهو لأوّل دعوة ، فدعوناه وأبلغناه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فكأنّنا نزلنا عليه من السّماء ، فأجابنا . وكاتبنا الناسّ ، فدعا قيساً وأخبره أنّه يشكّ في أمره لأنّه يميل إلى عدوّه ، فحلف قيس للأسود : لأنتَ اعظم في نفسي من أن أُحدِّث نفسي بذلك .

« وأتانا قيس ، فقال : يا جِشْنَس ويا فَيْروز ويا داذَوَيه : إنّ الأسود خامره الشكّ في أمري ! فبينما نحن معه يحدّثنا ، إذ أرسل إلينا الأسود يتهدّدنا ، فاعتذرنا إليه ونجونا منه ولم نكَدْ وهو مرتاب بنا ونحن نحذره ، فبينما نحن على ذلك إذ جاءتنا كُتب عامِر بن شَهْر (٩٧) وذي زَوْدٍ وذي مُرّان وذي الكَلاَع وذي ظُلَيْم يبذلون لنا النّصر ، فكاتبناهم وأمرناهم أن لا يفعلوا شيئاً حتى نُبرِم أمرنا . وإنما اهتاجوا لذلك حين كاتبهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكتب أيضاً إلى أهل نَجْران فأجابوه ، وبلغ ذلك الأسود ، وأحسّ بالهلاك .

« فدخلت على آزاد ، وهي امرأته التي تزوّجها بعد قتل زوجها شهر بن باذان ، فدعوتها إلى ما نحن عليه ، وذكرتها قتل زوجها شهر وإهـلاك عشيرتها وفضيحة النساء . فأجابت : والله ما خلقَ اللهُ شخصاً أبغض إليّ منه ، ما يقوم لله على حقّ ولا ينتهي عن مُحَرَّم ، فأعلموني أمركم أخبركم بوجه الأمـر .

« وخرجت وأخبرت فيروز وداذويه وقيساً ، فجاء رجل دعا قيساً إلى إلى الأسود ، فدخل في عشرة من مَذْحِج وهَمَدان ، فلم يقدر على قتله

(٩٧) انظر سيرته في : أسد الغابة (٨٣/٣) والاصابة (٩/٤) والاستيعاب (٢/ ٧٩٢) .

معهم ، ولكنّه كشف له شكوكه في إخلاصه له ، ولكن قيساً أكّد له أخلاصه له » .

وأخيراً اتّفقوا على نقب الدار التي فيها الأسود ، فدخلوا عليه : فيروز وداذَويه وجِشْنَس وقيس ، فقتل فيروزُ الاسودَ ليلاً ، فلما طلع الفجر نادوا بالأذان : أشهد أنّ محمداً رسول الله ، وأنّ عَبْهَلَة كذّاب .

وتراجع أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى اعمالهم ، وكان معاذ يصلي بالمسلمين ، وكتب الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حياته بمقتل الأسود العَنْسِيّ .

وكان أوّل أمر العَنْسِيّ إلى آخره ثلاثة أشهر ، وقيل : قريب من أربعة أشهر وكان قدوم البشير بقتله في آخر ربيع الأول بعد موت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فكان أوّل بشارة أتت أبا بكر وهو بالمدينة (٩٨) .

وكان الأسود قد كتب إلى معاذ وعمال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الآخرين : « أيّها المتورِّدون علينا ! أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفِّروا ما جمعتم ، فنحن أولى به ، وأنتم على ما أنتم عليه » (٩٩) ، فكان السبب المباشر لرِدّته وكذبه هو طمعه في الصدقات ورغبته بالاستئناء بها دون المسلمين ، فكان ذلك سبباً من أسباب اندحاره .

كما أنّه استخفّ بأقرب المقربين إليه الذين يتولّون قيادات رجاله : قيس بن عبد يغوث قائد جند الأسود ، وفيروز وداذَويه قائدى الفُرس في اليمن (١٠٠) ، مما أثار حفيظتهم وحقدهم وجعلهم صفاً واحداً ويداً واحدةعليه.

وكان لكتب النبي صلّى الله عليه وسلّم أثر معنوي عظيم على المسلمين في اليمن : « إذ جاءَتنا كُتُب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يأمرنا فيها أن نبعث الرِّجال لمجاولته أو لمصاولته . ونُبْلِغ كلّ مَنْ رَجَاعنده شيئاً من ذلك عن

(٩٨) انظر التفاصيل في الطبري (٣/٢٢٧ ـ ٢٤٠) وابن الاثير (٢/٣٣٦-٣٤١).
(٩٩) الطبري (٣/٢٢٩) .

النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقام معاذ في ذلك بالذي أُمِر به ، فعرفنا القوّة ووثقنا بالنّصر » (١٠١) ، فكان أثر معاذ في القضاء على فتنة الأسود عظيماً .

وكان الأسود من أهل اليمن ، وكان معاذ من أهل المدينة ، ولكنّ الأسود لم يستطع أن يحوز على ثقة أحد من أهل اليمن ، بينما كان معاذ موضع ثقة المسلمين كافة في اليمن ، كما كانت له مكانة خاصة في السّكون ، فقد تزوّج معاذ إلى بني بَكْرَة حيّ من السّكُون ، امرأة أخوالها بنو زَنْكَبِيل يقال لها : رَمْلَة ، فَحَدِبوا لصهره على معاذ وعلى المسلمين أيضاً ، وكان معاذ معجَباً ، فإنّه كان ليقول فيما يدعو الله به : « اللّهم ابعثني يوم القيامة مع السّكون » ، ويقول أحياناً : « اللّهم اغفر للسّكون » (١٠٢) مما جعله موضع ثقة هذه القبيلة القويّة وموضع حمايتها له ، واندفاعها في مصاولة أعداء المسلمين ، فقد انحاز معاذ إلى السّكُون (١٠٣) فعطفوا عليه (١٠٤) وعلى مَنْ معه من المسلمين .

كلّ هذه الأسباب جعلت الأسود العَنْسِيّ يخسر المعركة ويخسر حياته أمام المسلمين في اليمن ، فانتصر الحق وانهزم الباطل .

ولم تُرو نصوص كتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى معاذ وغيره من مسلمي اليمن ، كما لم تُرْوَ نصوص الكتب التي كتبها معاذ وغيره من المسلمين إلى أنصارهم في اليمن للتعاون في حرب الأسود .

انتصر المسلمون على الأسود كتبوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالخبر ، ولم يرو نصّ الكتاب(١٠٥) .

ولما قُتِلَ الأسود عاد أمر المسلمين في اليمن كما كان ، فأرساوا إلى معاذ

(١٠٠) الطبري (٣/٢٣٠) .
(١٠١) الطبري (٣/٢٣١) .
(١٠٢) الطبري (٣/٢٣٠) وانظر ابن الاثير (٢/٣٣٨).
(١٠٤) ابن الاثير (٢/٣٣٨) .
(١٠٥) انظر التفاصيل في : مجموعة الوثائق السياسية (٢٥٦ ــ ٢٥٨) .

فصلّى بالمسلمين ، وهم راجون مؤملون لم يبق شيءٌ يكرهونه إلاّ شراذم من أصحاب الأسود ، فأتى موت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فانتقضت الأمور واضطربت الأرض (١٠٦) من جديد ، فقد كان الذين أسلموا في اليمن حديثي عهد بالجاهلية (١٠٧) ، أسلموا وما حسن إسلامهم بَعْدُ .

واستمرّ معاذ بعد القضاء على فتنة الأسود معلّما يعلّم أهل اليمن ، يتنقّل في عَمَل كلّ (١٠٨) عامل ، يفقّه الناس في الدّين .

وحارب أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه المرتَدّة جميعاً بالرّسل والكتب ، كما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاربهم ، حتى رجع أُسامة بن زيد(١٠٩) من الشام (١١٠) ، فتيسّر لأبي بكر الصدّيق أن يبعث لقتال المرتدين في اليمن قوات المسلمين ، فقدم عِكْرِمة بن أبي جَهْل(١١١) اليمن من (مَهْرَة)(١١٢) وأقبل المهاجر بن أبي أميّة (١١٣) في جمع من أهل مكّة والطائف وبَجيْلَة (١١٤) مع جرير بن عبدالله البَجَليّ(١١٥) إلى نَجْران ، فانضمّ إلى قوّات المُهَاجر بعد قدومه فَرْوَة بن مُسَيْك المُرَادِيّ بمن معه من مسلمي اليمن ، فاستطاعت

(١٠٦) ابن الاثير (٢/٣٤١) .
(١٠٧) الطبري (٣/٢٣٩) .
(١٠٨) الطبري (٣/٣١٨) .
(١٠٩) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة الشام ومصر (٣١ ـ ٥١) .
(١١٠) الطبري (٣/٣١٩) .
(١١١) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٨٥ ـ ٩٥) .
(١١٢) مهرة : اسم قبيلة يمنية تنسب اليها الابل المهرية ، ولهم مخلاف باليمن بينه وبين عمان شهر وبينه وبين حضرموت شهر ايضا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢١١) .
(١١٣) المهاجر بن ابي امية المخزومي : انظر سيرته في اسد الغابة (٤/٤٢٢) . والاصابة (٦/١٤٤) .
(١١٤) بجيلة بن أنمار بن اراش بن عمرو الذي هو اخو الأزد ، وهي قبيلة يمنية، انظر اسد الغابة (١/٢٤٢) والاستيعاب (١/٢٣٦) .
(١١٥) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٦ـ٣٧١) ـ ط ٢ .

قوّات المسلمين أن تقضي على مقاومة المرتدين نهائياً ، واستسلم قادتهم للمسلمين ، وعاد المرتدون إلى حظيرة الإسلام ، وكاذ ذلك سنة إحدى عشرة الهجريّة (١١٦)

كما انتهت فتنة المرتدين في حضرموت وكِنْدة ، وعاد المرتدون إلى الإسلام من جديد ، وكان ذلك سنة إحدى عشرة الهجرية أيضاً (١١٧) .

ولمّا أكمل واجبه دعوةً وجهاداً ، وتعليماً وقضاءً ، في اليمن وما حولها من المناطق ، واستقرّ الإسلام والمسلمون هناك ، ونشأ فيها ناشئة من الدعاة والقضاء ، والمعلمين ، والمجاهدين ، آن لمعاذ أن يعود إلى عاصمة المسلمين الأولى ، فانصرف معاذ من اليمن في سنة إحدى عشرة الهجرية من اليمن إلى المدينة المنوّرة (١١٨) ، فقد انتهى من واجباته في تلك المنطقة العربيـــة الإسلامية ، فعاد ليستأنف واجبات جديدة في مناطق أخرى ، وكان قد تلقّى واجباته الأولى من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما التحق عليه الصّلاة والسّلام بالرفيق الأعلى ، استأنف معاذ واجباته الجديدة في خدمة الإسلام والمسلمين بإرشاد خلفاء النبيّ صلّى الله عليه وسلم .

لقد بقي معاذ في اليمن من رمضان سنة تسع الهجريّة إلى ذي الحجّة سنة إحدى عشرة الهجريّة ، أي أنّه بقي في اليمن سنتين وثلاثة أشهر تقريباً ، فكان أول من غرس جذور علوم الدين حديثاً وفقهاً وقرآنا في اليمن السعيد ، فبقي هذا القطر العربي الإسلاميّ متميزاً في علوم الدين واللّغة العربية بفضل معلّمة الأول معاذ منذ أربعة عشر قرناً حتى اليوم ، مما يدلّ على مبلغ عمق آثار معاذ في أهل اليمن ومبلغ إخلاصه النادر في أداء واجباته على صعوبتها

(١١٦) انظر التفاصيل في الطبري (٣/٣٢٣ – ٣٢٨) وابن الأثير (٢/٣٧٥ – ٣٧٨) .

(١١٧) انظر التفاصيل في الطبري (٣/٣٣٠ – ٣٤٢) وابن الأثير (٢/٣٧٨ – ٣٨٢) .

(١١٨) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٥) .

وضخامة مسؤولياتها وأهميتها الحاضر الإسلام والمسلمين ومستقبلهم في السّلام والحرب.

لقد أدّى واجبه قاضياً ، ففرض العدالة والاستقامة والنّزاهة المطلقة في قضائه ، في مجتمع قبليّ صعب المراس ، وأدّى واجبه معلماً للقرآن والحديث والفقه ، فغرس بذور علوم الدين غرساً مباركاً طيّباً نافعاً ، وحمل السّيف مجاهداً في حرب المرتدين ، فكان بحق ربّ السيف والقلم ، الداعية المجاهد ، الموحِّد من أجل الجهاد ، والمجاهد من أجل التوحيد .

الإنسان

١ ـ العالم

كان معاذ ممّن يُفْتي بالمدينة ويُقْتدى من به من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبعد ذلك (١١٩) علي بن أبي طالب ، وعبدالرحمن بن عَوْف ، وأُبَيّ بن كعب ، وعبدالله بن مسعود ، وأبو موسى الأشعريّ ، ومُعاذ بن جبَل ، فكان من أصحاب الفتيا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (١٢٠) .

وكان يُصَلّي مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ثمّ يجيء فيؤمّ قومه (١٢١) بني سَلِمَة وَمَن يُصلّي معهم في مسجدهم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : « جمع القرآن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أربعة كلّهم من الأنصار ، أُبَيّ بن كعب (١٢٢)، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت (١٢٣)، وابو زيد» (١٢٤) ، رواه البخاري ومسلم (١٢٥)

(١١٩) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢/٣٣٤ ـ ٣٥٠) .
(١٢٠) أصحاب الفتيا ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٢٠) وأسد الغابة (٤/٣٣٠).
(١٢١) طبقات ابن سعد (٣/٣٨٦) والاستيعاب ١٣٧) .
(١٢٢) انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٢/٣٤٠ ـ ٣٤١) .
(١٢٣) انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٢/٣٥٨ ـ ٣٦٢) .
(١٢٤) انظر سيرته في أسد الغابة (٥/٢٠٣ ـ ٢٠٤) .
(١٢٥) تهذيب الاسماء واللغات (٢/٩٩) والاصابة (٦/١٠٦) .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : « سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : خذوا القرآن من أربعة : عبدالله بن مسعود (١٢٦) ، وسالم مولى أبي حُذَيْفَة (١٢٧) ، ومعاذ بن جبل ، وأُبَيّ بن كعب » رواه البخاري ومسلم (١٢٨) .

لقد كان احد حفاظ القرآن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يقتصر على جمع القرآن ، بل كان يعلّم المسلمين القرآن الكريم .

روى عن النبي صلّى الله عليه وسلّم مائة حديث وسبعة وخمسين حديثاً ، اتّفق البخاري ومسلم على حديثين ، وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بحديث ، روى عنه ابن عمر وابن عبّاس وابن عمرو بن العاص وأبو قَتَادة وجابر بن عبدالله وأبو أُمَامة الباهِلِيّ وأبو ثعلبة وعبدالرحمن بن سَمُرَة وآخرون من الصّحابة رضوان الله عليهم وخلائق من التابعين (١٢٩) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أرحم أمتي لأُمتي أبو بكر ، وأشدّهم في أمر الله عمر ، وأشدّهم حياءً عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام مُعَاذ بن جبل . واحرصهم زيد بن ثابت . وأقرؤهم أُبَيّ ، ولكلّ أمّة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عُبَيْدة بن الجرّاح (١٣٠)

(١٢٦) انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٢/٣٤٢ ــ ٣٤٤) .
(١٢٧) انظر سيرته في تهذيب الاسماء واللغات (١/٢٠٦) .
(١٢٨) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (١/٦٠) وانظر تهذيب الاسماء واللغات (٢/٩٩) واسد الغابة (٤/٣٧٨) وانساب الأشراف (١/٢٦٤) وحلية الأولياء (١/٢٢٩) .
(١٢٩) تهذيب الاسماء واللغات (٢/٩٨) وانظر تهذيب التهذيب (١٠/١٨٦ ــ ١٨٧) وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٣٧٩) وأسماء الصحابة الرواة ــ ملحق بجوامع السيرة (٢٧٧) .
(١٣٠) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة بأسانيد صحيحة حسنة ، وقال الترمذي : هو حديث حسن صحيح ، انظر تهذيب الاسماء واللغات (٢/٩٩) .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : : « أعلم أُمّتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل» ، وقال: « معاذ بن جبل أعلمُ الناس بحلال الله وحرامه»(١٣٢) فهو أعلم الصّحابة عليهم رضوان الله .

وقال عليه الصّلاة والسّلام : « يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء برَتْوَة »(١٣٣) ، والرَتْوَة رمية سهم ، وقيل: ميل. وقيل : مدّ البَصَر (١٣٤)

وقال عليه الصّلاة والسّلام : « معاذ بن جبل له نَبْذَةَ بين يدي العلماء يوم القيامة » (١٣٥) ، وقد خلّف معاذاً بمكّة حين وجّه إلى حُنَيْن يفقّه أهل مكّة ويُقرئهم القرآن ، كما ذكرنا .

وخطب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بـ (الجَابِيَة) (١٣٦) فقال : « مَنْ كان يريد أن يسأل من الفقه ، فليأتِ معاذَ بن جبل » . وكان عمر بن الخطاب يقول حين خرج معاذ إلى الشّام : « لقد أخَلّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يُفتيهم به ، ولقد كنتُ كلّمتُ أبا بكرٍ رحمه الله ، أن يَحْبسه بحاجة الناس إليه ، فأبى عَليّ وقال : رجل أراد وجهاً يريد الشّهادة ، فلا أحبسه ! فقلت : والله إنّ الرّجل لَيُرْزَق الشّهادة وهو على فراشه وفي بيته عظيمُ الغنى عن مِصْرِه » ، وقال كعب بن مالك : « كان معاذ بن جبل يُفتي بالمدينة في حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي

(١٣١) طبقات ابن سعد (٣٤٧/٢) و (٥٨٦/٣) والاستبصار (٤٨) و (١٣٦) وتهذيب التهذيب (١٨٧/١٠) والبداية والنهاية (٩٥/٧) وحلية الاولياء (٢٢٨/١) .
(١٣٢) حلية الاولياء (٢٢٨/١) .
(١٣٣) طبقات ابن سعد (٣٤٧/٢) واسد الغابة (٣٧٨/٤) وتهذيب الاسماء واللغات (٩٩/٢) والاستبصار (١٣٦) وتهذيب التهذيب (١٨٧/١٠) وحلية الاولياء (٢٢٩/١) .
(١٣٤) انظر هامش أسد الغابة (٣٧٨/٤) نقلا عن النهاية لابن الاثير .
(١٣٥) طبقات ابن سعد (٣٤٧/٢) .
(١٣٦) الجابية : قرية من اعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٣/٣) .

بكر » . وقال عمر بن الخطّاب : « إنّ العلماء إذا حضروا يوم القيامة ، كان معاذ بن جبل بين أيديهم قذفةً بحجر » (١٣٧) .

وذكر أبو إدريس الخَوْلانِي أنّه دخل مسجد دمشق ، فإذا فتىً برّاق الثنايا ، وإذا ناس معه اذا اختلفوا في شيءٍ أسندوه إليه وصدروا عن رأيه ، فسأل عنه ، فقالوا : هذا معاذ بن جبل. قال أبو إدريس: « فلما كان من الغد هجّرت(١٣٨) فوجدته قد سبقني بالتّهجير ، فوجدته يُصلّي ، فانتظرته حتى قضى صلاته ، ثم جئته من قِبَلِ وجهه ، فسلمّت عليه ، وقلتُ له : والله إنّي لأحبّك لله ، فقال : اللهِ ؟ فقلت : اللهِ ، فقال : اللهِ ؟ فقلت : اللهِ ، فأخذ بحُبْوَة(١٣٩) ردائي فجبذني إليه وقال : أبْشِر ، فإنّي سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : قال الله تبارك وتعالى : وجَبَتْ رحمتي للمتحابّين فيّ والمتجالسين فِيّ والمُتزاورين فِيّ » (١٤٠) .

وذكروا أنّ رجلاً دخل مسجد حِمْص ، فإذا بحَلْقَة فيهم رجل آدم (١٤١) جميل وضّاح الثنايا ، وفي القوم مَنْ هو أسنّ منه ، وهم مقبلون عليه يستمعون حديثه ، فقال له الرجل : مَنْ أنت ؟ » ، فقال : « مَعَاذ بن جبل » (١٤٢) .

وذكر أبو مُسْلِم الخَوْلاني قال : « دخلت مسجد حِمْص ، فإذا فيه نحواً من ثلاثين كهلاً من اصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . وإذا فيهم شاب أكحل العينين برّاق الثنايا لا يتكلّم . فإذا امترى القوم في شيءٍ أقبلوا عليه فسألوه ، فقلت لجليس لي : مَنْ هذا ؟ فقال : معاذ بن جبل رضي

(١٣٧) طبقات ابن سعد (٣٤٨/٢) .
(١٣٨) هجرت : سار في الهاجرة ، وهجر النهار : انتصف واشتد جره . وهجر الى الشيء : بكر وبادر اليه .
(١٣٩) الحبوة : بضم الحاء وفتحها وكسرها ــ ما يحتبى به من ثوب وغيره .
(١٤٠) طبقات ابن سعد (٥٨٦/٣ ــ ٥٨٧) .
(١٤١) آدم : شديد السمرة .
(١٤٢) طبقات ابن سعد (٥٨٧/٢) .

الله تعالى عنه ، فوقع في نفسي حبّه ، فكنت معهم حتى تفرّقوا »

وقال عايد الله بن عبدالله ((١٤٣) : « دخلت المسجد يوماً مع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أول إمره عمر بن الخطّاب ، فجلست مجلساً فيه بضع وثلاثون كلّهم يذكرون حديثاً عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وفي الحلقة فتىً شاب شديد الأدمة حلو المنطق وضيء ، وهو أشبّ القوم سناً ، فإذا اشتبه عليهم من أحاديث القوم شيء ردّوه إليه فحدّثهم ، ولا يحدّثهم شيئاً إلاّ أن يسألوه ، قلت : مَنْ أنت يا عبدالله ؟ فقال : معاذ بن جبل » .

وروى : « أنّه دخل مسجد حمص ، فإذا أنا بفتى حوله الناس ، جَعْد (١٤٤) ، قَطَط (١٤٥) ، فإذا تكلّم كأنّما يخرج من فيه نور ولؤلؤ فقلت مَنْ هذا ؟ قالوا : معاذ بن جبل رضي الله عنه » .

وقال شهر من حَوْشب : « كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا تحدّثوا وفيهم معاذ بن جبل ، نظروا إليه هيبة له »(١٤٦) .

وكان شعار معاذ في تعلم العلم وتعليمه كما كان يوصى به مَنْ حوله من العلماء والمتعلمين وسائر الناس ، « خُذ العِلْم أنى أتاك » (١٤٧) .

وقال رجل لمعاذ : « علّمني ! » ، قال : « وهل أنت مطيعي ؟ » ، قال : « إني على طاعتك لحريص ، قال : صُمْ وأفطر ، وصَلّ ونَمْ ، واكتسب ولا تأثم ولا تموتن إلاّ وأنت مسلم ، وإياك ودعوة المظلوم » (١٤٨)

وكان يحثّ على أخذ العلم من منابعه الأصيلة ومن العلماء الثقات ، وينهى

---

(١٤٣) عايذ الله بن عبدالله ابو ادريس الخولاني : انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق ـ تحقيق د. شكري فيصل (٤٨٥ ـ ٤٩٧) .
(١٤٤) جعد : يقال وجه جعد : مستدير قليل اللحم .
(١٤٥) قطط : يقال : شعر قطط : قصير جعد .
(١٤٦) انظر التفاصيل في حلية الأولياء (١/٢٣٠ ـ ٢٣١) .
(١٤٧) طبقات ابن سعد (٢/٣٥٠) .

عن الانحراف والبدع ، ومن أقواله في ذلك : « إنّ وراءكم فتناً يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القرآن ، حتى يأخذه المؤمن والمنافق ، والرّجل والمرأة . والصغير والكبير ، والحرّ والعبد . فيوشك قائل أن يقول : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ! ما هم بمتبعتي حتى أبتدع لهم غيره ! فإيّاكم وما يُبْتَدَع ، فإن ما ابتدع ضلالة ، وأحذّركم زيغة الحكيم ، فإنّ الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم . وقد يقول المنافق كلمة الحق ! » ، فقيل له : « ما يدريني رحمك الله أنّ الحكيم يقول كلمة الضلالة ، وأنّ المنافق يقول كلمة الحق ؟ ! » ، قال : « بلى اجتنِبْ من كلام الحكيم المستهترات التي يقال ، ما هذه ؟ ! ولا يثنيك ذلك عنه ، فإنّه لعلّه يرجع ويتّبع الحق إذا سمعه ، فإنّ على الحق نوراً » (١٤٩) ، فهو يريد من العاماء والمتعلمين أن يستعملوا عقلهم في تلقّي العلم ، وألاّ يقاطعوا العالم إذا أخطأ مرّة ، بل عليهم أن يعينوه على العودة إلى الصواب ، فلا يخسره العلم ولا يخسره العلماء والمتعلمون .

ومن أقواله : « وأحذركم زيغة الحكيم ، فإنّ الشيطان يقول في الحكيم بكلمة الضلالة ، وقد يقول المنافق كلمة الحق ، فاقبلوا الحق ، فإنّ على الحق نوراً » ، فقالوا : وما يدرينا رحمك الله أنّ الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ؟ قال : « هي كلمة تنكرونها منه ، وتقولون : ما هذه ! ! ! فلا يثنيكم ، فأنه يوشك أن يفيء ويراجع بعض ما تعرفون ، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة ، مَنْ ابتغاهما وجدهما (١٥٠)

وجاء أحد طلاّب معاذ إليه ، فجعل يبكي ، فقال : « ما يبكيك ؟ ! »

---

(١٤٨) حلية الاولياء (١/٢٣٣) .

(١٤٩) حلية الأولياء (١/٢٣٢ – ٢٣٣) ، وورد قول معاذ في روايتين ، الاولى رواها أبو ادريس الخولاني ، والثانية رواها أبو يزيد بن عميرة ، والروايتان متقاربتان في المعنى مختلفتان قليلا في المبني .

(١٥٠) حلية الأولياء (١/٢٣٢ – ٢٣٣) .

قال : « والله ما ابكي لقرابة بيني وبينك . ولا لدنيا كنت أصيبها منك ، ولكن كنتُ أصيب منك علماً ، فأخاف أن يكون قد انقطع » ، فقال معاذ : « فلا تبكِ ، فإنّه مَنْ يرد العلم والإيمان يؤته الله تعالى كما آتى إبراهيم عليه السّلام ، ولم يكن يومئذ علم ولا إيمان (١٥١) ، وهذا دليل على شدّة تعلّق طلابه به وحبّهم له ، ودليل على إسداء النصح والتوجه لهم بما يفيدهم في حياتهم العلميّة .

وقال معاذ : « تعلّموا العلم ، فإنّ تعلّمه لله تعالى خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكراته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة ، وبذله لأهله قُرْبَة ؛ لأنّه معالم الحلال والحرام ، ومنار أهل الجنّة ، والأُنس في الوحشة ، والصّاحب في الغربة ، والمحدّث في الخلوة . والدليل على السّراء والضرّاء ، والسّلاح على الأعداء ، والدين عند الأجلّاء ، يرفع الله به أقواماً ، ويجعلهم في الخير قادة وأئمة ، تُقتبس آثارهم ، ويُقتدى بفعالهم ، ويُنتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة في خلّتهم ، وبأجنحتها تمسهم . يستغفر لهم كلّ رطب ويابس ، حتى الحيتان في البحر وهوامه ، وسباع الطير وأنعامه لأنّ العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصباح الأبصار من الظلم ، يبلغ بالعلم منازل الأخيار ، والدرجة العليا في الدنيا والآخرة ، والتفكير فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام . به توصل الأرحام ، ويعرف الحلال من الحرام ، إمام العمّال والعمل تابعه ، يلهمه السُّعداء ، ويحرمه الأشقياء »(١٥٢) . ولا أعرف عالماً من العلماء في مختلف العصور ومن مختلف الأجناس ، كرّم العلم والعلماء والمتعلمين ووصفهم بأبلغ وصف وأشمله ، وشجّع على العلم ، وأمر به وكرّمه ووضعه في الموضع اللائق به ، كما فعل معاذ في كلماته القايلة عددا الغزيرة مددا .

---

(١٥١) حلية الاولياء (١/٢٣٤) .
(١٥٢) حلية الأولياء (١/٢٣٩) ، وقد رواه عن معاذ رجاء بن حيوة .

وعن معاذ رضي الله عنه قال : « تصدّيت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يطوف ، فقلت يا رسول الله ! أرنا الناس » ، فقال : « سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشّر ، شرار الناس شرار العلماء في الناس » (١٥٣) ، البزار عن معاذ (١٥٤) .

وروى أنس بن مالك ، قال : « أتاني معاذ بن جبل من عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : مَنْ شهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنّة ، فذهبت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقلت : يا رسول الله ! حدثني معاذ أنّك قلت : مَنْ شهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنة ، قال : صدق مُعاذ ، صدق معاذ ، صدق معاذ » (١٥٥) ، حديث حسن (١٥٦) .

وكان الذين يفتون على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المهاجرين عمر وعثمان وعليّ ، وثلاثة من الأنصار : أُبَيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت (١٥٧) : وذكرنا أنه كان من اصحاب الفتيا من الصحابة . وفي باب (ميراث الأخوات مع البنات عصبة) في كتاب (الفرائض) من صحيح البخاري : « قضى فينا معاذ بن جبل ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم : النصف للابنة والنصف للأخت » (١٥٨) .

لقد كان معاذ أفقه الناس ، وأعلم أُمّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالحلال

(١٥٣) حلية الاولياء (١/٢٤٢) .
(١٥٤) حديث حسن ، انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/٦٤).
(١٥٥) أسد الغابة (٤/٣٧٧) .
(١٥٦) انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/٣٠١) .
(١٥٧) أسد الغابة (٤/٣٧٧) .
(١٥٨) فتح الباري بشرح البخاري (١٢/٢٠) وانظر دليل القارى الى مواضع الحديث في صحيح البخاري (٣٧٦) وانظر سنن الدارمي الكتاب ٢١ الباب ٤ ومفتاح كنوز السنة (٤٧٥ ـ ٤٧٦) .

والحرام (١٥٩) ، وكانت له آراء اجتهادية في الدين مهمّة جداً : « . . . فجاء معاذ فقال : لا أجده على حالٍ أبداً إلاّ كنت عليها ثم قضيت ما سبقني فجاء وقد سبقه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ببعضها (يريد الصّلاة) ، فثبت معه ، فلما قضى رسول الله صلّى الله عايه وسلم صلاته ، قام فقضى ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّه قد سَنّ لكم معاذ ، فهكذا فاصنعوا » (١٦٠) ، فبقي اجتهاده معمولاً به منذ أظهره للناس حتى اليوم .

لقد كان مؤثّراً في علمه على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن بعده ، فلما تُوفي معاذ أصبح قدوة صالحة للأجيال ، فكان عبدالله بن عمرو بن العاص يقول : « حدّثونا عن العاقاين : معاذ وأبي الدَّرْداء » (١٦١) ، وكان عبدالله بن عمر يقول : « حدّثونا عن العالمين العاملين : معاذ ، وأبي الدَّرداء (١٦٢) .

وقال عمر بن الخطّاب يوماً لأصحابه : « تمنّوا ! » ، فتمنّى كلّ إنسان شيئاً ، فقال عمر : « أتمنى لو أنْ هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عُبَيْدة بن الجرّاح ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حُذَيْفَة ، وحُذَيْفَة ابن اليَمَان »(١٦٣) .

وقال عمر بن الخطّاب : « عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، ولولا معاذ لهلك عمر (١٦٤) لأنّه كان لا يتأخّر في إسداء النّصح والمشورة له ، إذا كان في المدينة وخارجها على حدّ سواء .

---

(١٥٩) انظر مسند الامام أحمد بن حنبل (٣/١٨٤) و (٣/٢٨١) والحديث الرقم (٢٠٩٦) من مسند الطيالسي ، وانظر مفتاح كنوز السنة (٤٧٥) .

(١٦٠) انظر مسند الامام أحمد بن حنبل (٥/٢٦٤) وانظر الاستبصار (١٣٧) .

(١٦١) طبقات ابن سعد (٢/٣٥٠) والاستيعاب (٤/١٤٠٦) ، وفيه عبدالله بن عمر لا عبدالله بن عمرو .

(١٦٢) الاستبصار (١٢٦) و (١٣٩) .

(١٦٣) الاستبصار (١٣٨ ــ ١٣٩) .

(١٦٤) الاصابة (٦/١٠٧) .

فقد كتب معاذ وأبو عبيدة بن الجرّاح إلى عمر : « سلام عليك . أما بعد ، فإنّا عهدناك وأمر نفسك إليك مهم ، فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يديك الشّريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكلٍّ حصّته من العدل ، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ! فإنّا نحذرك يوماً تعنى (١٦٥) فيه الوجوه ، وتَجِف(١٦٦) فيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج لحجّة ملك قهرهم بجبروته ، فالخلق دآخرون (١٦٧) له يرجون رحمتَه ويخافون عقابه . وإنّا كنّا نتحدّث أنّ أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السّريرة ، وإنّا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا ، فإنّما كتبنا به نصيحة لك ، والسلام عليك » .

فكتب إليهما عمر : « من عمر بن الخطّاب ، إلى أبي عُبَيْدَة ومعاذ سلام عليكما . أما بعد ! أتاني كتابكما تذكران أنكما عهد تماني وأمر نفسي لي مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها . يجلس بين يديّ الشريف والوضيع ، والعدو والصّديق ، ولكلٍّ حصّته من العدل . كتبتما : كيف أنت عند ذلك يا عمر ! وأنّه لا حول ولا قوّة لعمر عند ذلك إلاّ بالله عزّ وجلّ . وكتبتما تحذراني ما حذرت الأمم قبلنا ، وقديماً كان اختلاف اللّيل والنّهار بآجال الناس يقربان كلّ بعيد ، ويبليان كلّ جديد ، ويأتيان بكلٍّ موعود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنّة أو النّار . كتبتما تحذراني أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكون إخوان

---

(١٦٥) عنا ـ عنوا : خضع وذل ، وفي التنزيل العزيز . (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما) .

(١٦٦) وجف : اضطرب ، ووجف القلب ، خفق ، وفي التنزيل العزيز : (قلوب يومئذ واجفة) .

(١٦٧) داخرون ، دخر : ذل وهان ، وفي التنزيل العزيز : (سجداً لله وهم داخرون) .

العلانيّة أعداء السريرة ، ولستم بأولئك وليس هذا بزمان ذاك ، وذلك زمان تظهر منه الرّغبة والرّهبة ، تكون رغبة الناس بعضهم لبعض لصلاح دنياهم . كتبتما تعوذاني بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما ، وأنكما كتبتما به نصيحة لي ، وقد صدقتما ، فلا تدعا الكتاب إليّ ، فإنّه لا غنى بي عنكما والسلام عليكما » (١٦٨) .

وكان عمر بحاجة إلى مَنْ يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وهو مَنْ هو علماً وورعاً واستقامة وإيماناً ، ولكنّ معاذاً وأبا عُبَيْدة بن الجراح وجدا من واجبها أن يذكّرا الناس جميعاً ومن ضمنهم عمر . فتقبّل عمر نصحهما بالقبول الحسن ، ورجاهما أن يدأبا على نصحه وتذكيره ، لأنّه بحاجة ماسة إلى هذا النّصح والتذكير ، ولم يأنف من نصحهما وتذكيرهما أو يقابل كتابهما بالاعراض .

ولعلّ في هذا عبرة للحكّام والعلماء في كلّ وقت وبكل مكان ، إذ ينبغي أن يكون العالم يؤدي واجبه كاملاً ، فيكون من علماء الرحمن ، ولا يسكت على الظلم والانحراف أو يغضّ الطرف عنه ، فيكون من علماء السلطان ، أو يشجع الظلم والانحراف ، ويقتنص له المعاذير والمسوّغات . فيكون من علماء الشيطان ، والسّاكت عن الحق شيطان أخرس إذا كان من سائر الناس ، فكيف إذا كان من العلماء ؟ !

وقد كان لمعاذ جولات كلاميّة مع يهود المدينة يدعوهم إلى الله ويرشدهم ، فقد كان يهود يَسْتَفْتِحُوْنَ على الأوس والخزرج برسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل مبعثه ، فلما بَعَثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ وبِشْر بن البَراء بن مَعْرور أخو بني سَلِمَة (١٦٩)

(١٦٨) حلية الاولياء (١/٢٣٨) .
(١٦٩) انظر سيرته في : طبقات ابن سعد (٣/٥٧٠ ــ ٥٧١) وتهذيب الاسماء واللغات (١/١٣٣ ــ ١٣٤) والاستبصار (١٤٣ ــ ١٤٤) .

« يا معشر يهود اتّقوا الله وأَسْلِمُوا ، فقد كنتم تَسْتَفْتِحُون علينا بمحمد ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنّه مبعوث ، وتَصِفُونه لنا بصفته » ، فقال سَلاَم بن مِشْكَم أحد بني النَّضِيْر من يهود : « ما جاءنا بشيءٍ نعرفه ، وما هو ذكر ما كنّا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم : (وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتَابٌ من عِنْدِ اللهِ مُصَدِّق لِمَا مَعَهُمْ ، وكانوا من قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ على الذينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللهِ على الكَافِرِين (١٧٠) . الآية (١٧١) .

وسأل معاذ وجماعة من الأنصار نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم إيّاه ، وأبوا أن يخبروهم عنه فأنزل الله تعالى فيهم : (إنَّ الذين يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَات والهُدَى من بَعْدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنَّاس في الكِتَابِ ، أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ ويَلْعَنُهُمْ اللاعِنون (١٧٢). الآية (١٧٣) .

وأتى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعةٌ من يهود ، فكلّموه ، وكلّمهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودعاهم إلى الله وحذّرهم نقمته . فقالوا : ما تخوّفنا يا محمد ؟ نحن والله أبناء الله وأحبّاؤه ، كقول النّصارى . فأنزل الله تعالى فيهم : (وَقَالَتِ اليَهودُ والنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ : فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، ولِلّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيْرُ) (١٧٤) .

ودعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يهود إلى الإسلام ، ورغّبهم فيه ،

(١٧٠) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٨٩) .
(١٧١) سيرة ابن هشام (٢/١٧٣ – ١٧٤) .
(١٧٢) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢/١٥٩) .
(١٧٣) سيرة ابن هشام (٢/١٧٨ – ١٧٩) .
(١٧٤) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ١٨) .

وحذّرهم غِيَرَ الله وعقوبته ، فأبوا عليه ، وكفروا بما جاءهم به ، فقال لهم معاذ وسعد بن عُبادة (١٧٥) وعُقْبَة بن وَهْب (١٧٦) : « يا معشر يهود ! اتّقوا الله ، فوالله إنّكم لتعلمون أنّه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه لنا بصفته » ، فقال يهوديان منهم : « ما قلنا لكم هذا قط ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : (يا أهْلَ الكِتَابِ قد جَاءَكُمْ رَسُوْلُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُوْلوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيْرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيْرٌ وَنَذِيْرٌ ، واللهُ عَلَى كلِّ شيءٍ قَدِيْرٌ)(١٧٧) ثمّ قصّ عليهم خبر موسى ، وما لقي منهم ، وانتقاضهم عليه . وما ردّوا عليه من أمْرِ الله ، حتى تاهوا في الارض أربعين سنة عقوبة (١٧٨) .

وهكذا تعلّم معاذ ، لينشر العلم ليس في المدينة حسب بل جنوباً في اليمن وشمالاً في بلاد الشام ، وليس داعياً إلى الله بين المسلمين حسب ، بل بين المسلمين وبين أهل الكتاب والمشركين ، وليس على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حسب ، بل على عهده وعهد الشيخين أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب رضي الله عنهما من بعده ، حتى توفّاه الله ، يتعلم العلم ويعلّمه ، ويدعو إلى الله على هدى وبصيرة ، فكان بحق الفقيه الفاضل الصالح (١٧٩) ، المحكم للعمل ، مقدام العلماء ، القارئ القانت (١٨٠) ، الإمام المقدّم في

(١٧٥) انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٣/٦١٣ ـ ٦١٧) والاستبصار (٩٣ ـ ٩٧) .
(١٧٦) انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٣/٥٤٥) والاستيعاب (٣/١٠٧٧) وأسد الغابة (٣/٤٢١) والاصابة (٤/٢٥٤) والاستبصار (٧/١) .
(١٧٧) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ١٩) .
(١٧٨) سيرة ابن هشام (٢/١٩٢ ـ ١٩٣) .
(١٧٩) تهذيب الاسماء واللغات (٢/٩٨) .
(١٨٠) حلية الأولياء (١/٢٢٨) .

علم الحلال والحرام (١٨١) : « نعم الرّجل معاذ » (١٨٢) ، صدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام (١٨٣) .

٢ - القانت :

بينما كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يحدّث أصحابه ذات يوم ، إذ قال : « إنّ مُعاذاً كان أمّةً قَانِتاً لله حَنِيفاً ولم يَكُ من المشركين » ، فقال له رجل : « يا أبا عبدالرّحمن ! نسيتها ؟ ! » وظنّ الرجل أنّه أَوْهَمَ فقال ابن مسعود : « هل تدرون ما الأُمّة ؟ » ، قالوا : « ما الأُمّة ؟ » ، قال : « الذي يعلّم الناس الخير » ، ثم قال : « هل تدرون ما القانت ؟ » ، قالوا: لا» ، قال: « القانت المطيع لله » ، وقال : « كنّا نشبّه معاذاً بإبراهيم(١٨٤) ابن مسعود كان يشير إلى الآية الكريمة : (إنَّ إبْراهيمَ كانَ أمّةً قَانِتاً لله حَنِيفاً ولم يَكُ مِنَ المُشْرِكينَ)(١٨٥) وكان الصّحابة يشبّهون مُعَاذاً بإبراهيم عليه السلام في مزاياه المتميّزة .

وتعليم الناس الخير ، وطاعة الله ، هما مفتاحا شخصية معاذ : الإيمان الرّاسخ ، والعلم المتين .

والحديث على إيمان معاذ العميق وعقيدته الرّاسخة وتقواه وورعه حديث طويل ، لأنّه يستغرق أهمّ جانب من حياته إنسانا ، ويمتدّ ليشمل من يوم إيمانه بالله ورسوله إلى أن فارق الحياة ، لا يعمل إلاّ لآخرته في مجالي العلم والعبادة ، وكان علمه ثمرة من ثمرات عبادته ، فكان بحق يعتبر العلم (عبادة)

---

(١٨١) الاصابة (١٠٦/٦) .
(١٨٢) رواه الترمذي والنسائي ، انظر تهذيب الاسماء واللغات (٩٩/٢) .
(١٨٣) تهذيب الاسماء واللغات (٩٩/٢) .
(١٨٤) طبقات ابن سعد (٣٤٨/٣ و ٣٤٩) وانظر حلية الاولياء (٢٣٠/١) واسد الغابة (٣٧٨/٤) والاصابة (١٠٦/٦) والاستبصار (١٣٨) وتهذيب التهذيب (١٨٧/١٠) والبداية والنهاية (٩٥/٧) .
(١٨٥) سورة النحل (١٦ : ١٢٠) .

من أفضل العبادات ، فهو عالم في عبادته ، عابد في علمه ، يرى التعلّم والتّعليم من عبادة المؤمن الحق ، الذي يريد أن يعبد الله على هدى وبصيرة لا على جهل وضلال .

ومن الصعب حشد كلّ ما ورد عن ورع معاذ وتقواه في المصادر المعتمدة، فلا بدّ من اختيار الأمثلة مما سجّله المؤرخون وأصحاب السِّير والمحدِّثون ، فالحديث عن روحانية معاذ تغذي الروح والإيمان .

كان معاذ إذا تهجّد باللّيل قال : « اللّهم نامت العيون ، وغارت النجوم، وأنت حيّ قيوم . اللّهم طلبي الجنّة بطيءٌ ، وهروبي من النّار ضعيف . اللّهم اجعل لي عندك هدى ترده إليّ يوم القيامة إنك لا تُخلف الميعاد »(١٨٦)

وكان لا يجلس مجلساً للذّكر إلاّ قال حين يجلس : « الله حَكَمٌ قِسْطٌ ، (١٨٧) تبارك اسمه ، هلك المرتابون (١٨٨) .

وقال معاذ لابنه : « يا بُنيّ ! إذا صلّيت صلاةً فَصَلِّ صلاة مودِّع ، لا تظنّ أنّك تعود إليها أبداً ، واعلم يا بُنيّ أنّ المؤمن يموتُ بين حسنتين : حَسَنَة قدّمها ، وحسنة أخّرها » .

وأتى رجل معاذاً ومعه أصحابه يسلّمون عليه ويودِّعونه ، فقال : « إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حُفظت : أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر . فآثِر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا ، حتى تنتظمه لك انتظاماً ، فتزول به معك أينما زلت (١٨٩)

وكان معاذ يقول : « ما من شيءٍ أنجى لابن آدم من عذاب الله من ذكر الله

---

(١٨٦) حلية الاولياء (١/٢٢٣) .

(١٨٧) قسط : العدل ، وهو من المصادر الموصوف بها ، بوصف به الواحد والجمع ، يقال : ميزان قسط ، وميزانان قسط ، وموازين قسط ، ومنه في التنزيل العزيز : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) .

(١٨٨) حلية الاولياء (١/٢٣٣) .

(١٨٩) حلية الاولياء (١/٢٣٤) .

عزّ وجلّ » ، قالوا : « ولا السّيف في سبيل الله » . ثلاث مرات ، قال : « ولا ! إلاّ أن يضرب بسيفه في سبيل الله عزّ وجلّ حتى ينقطع » . وقال : « ما عمل آدميّ عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله » ، قالوا : « يا أبا عبدالرحمن ! ولا الجهاد في سبيل الله ؟ » ، قال : « ولا ! إلاّ أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ، لأنّ الله تعالى يقول في كتابه : (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) » (١٩٠)

وقال معاذ : « مَنْ سرّه أن يأتي الله ، عزّ وجلّ آمناً ، فليأت هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهنّ ، فإنّهنّ من سنن الهدى ، ومما سنّه لكم نبيّكم صلّى الله عليه وسلّم ، ولا يقل إنّ لي مُصلىً في بيتي فأصلي فيه . فإنّكم إن فعلتم ذلك تركتم سُنّة نبيّكم ، ولو تركتم سُنّة نبيّكم صلّى الله عليه وسلم لضللتم »(١٩١) .

وعن الأسود بن هلال قال : « كنّا نمشي مع معاذ ، فقال لنا : اجلسوا بنا نؤمن ساعة » (١٩٢) ، يريد أن يجالسوا لذكر الله سبحانه وتعالى .

وقال معاذ يوماً لأحد أصحابه . « إنّك تجالس قوماً لا محالة يخوضون في الحديث ، فإذا رأيتهم غفلوا ، فارغب إلى ربّك عزّ وجلّ عند ذلك رغبات » ، وكانوا يقولون : « آية الدعاء المستجاب ، إذا رأيت الناس غفلوا ، فارغب إلى ربّك عند ذلك رغبات » .

وقدم معاذ منطقة من مناطق المسلمين ، فقال له قسم من أشياخ المنطقة : « لو أردت ننقل لك من هذه الحجارة والخشب ، فنبني لك مسجداً » ، فقال « إني أخاف أن أُكلّف حمله يوم القيامة على ظهري » .

وقام يوماً في بني أَوْد(١٩٣) فقال : « يا بني أَوْد ! إني رسول رسول الله

(١٩٠) الآية الكريمة من سورة العنكبوت (٢٩ : ٤٥) .
(١٩١) حلية الاولياء (١/٢٣٥) .
(١٩٢) حلية الاولياء (١/٢٣٥) .
(١٩٣) أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، انظر جمهرة أنساب العرب (٤٠٧ و ٤١١) .

صلّى الله عليه وسلّم ، تعلمنّ أنْ المَعاد إلى الله تعالى ثمّ إلى الجنّة أو إلى النّار ، إقامة لا ظعن ، وخلود في أجساد لا تموت (١٩٤) » ، وبنو أوْد من قبائل اليمن .

وكان معاذ يقول : « اعلموا ما شئتم أن تعلموا ، فلن يؤجركم الله بعلم حتى تعملوا » ، وكان يقول : « تعلّموا ما شئتم إن شئتم أن تعلموا ، فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا » (١٩٥) إذ لا قيمة للعلم بدون عمل .

وقال معاذ « ابتُليتم بفتنة الضرّاء فصبرتم ، وستبتلون بفتنة السرّاء ، وأخوف ما اخاف عليهم فتنة النِّساء : إذا تسوّرن الذّهب والفِضّة ، ولبسن رِياط (١٩٦) الشّام ، وعُصُب (١٩٧) اليمن ، فأتعبن الغني ، وكلّفن الفقير ما لا يجد » .

وكان يقول : « ثلاث مَنْ فعلهنّ فقد تعرّض للمقت : الضحك من غير عجب ، والنّوم من غير سَهَر ، والأكل من غير جوع » .

وأخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعمائة دينار فجعلها في صُرَّة ، فقال للغلام : « اذهب بها إلى أبي عُبَيْدة بن الجراح . ثم تلبّث ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع ! » ، فذهب بها الغلام فقال : « يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك » ، فقال : « وصله الله ورحمه » . ثم قال : « تعالي يا جارية ! اذهبي بهذه السّبعة إلى فلان . وبهذه الخمسة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان » ، حتى أنفذها ، فرجع الغلام إلى عمر رضي الله عنه وأخبره ، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل ، فقال : « اذهب بها إلى معاذ رتلة في البيت ساعةً حتى تنظر ما يصنع ! » ، فذهب

---

(١٩٤) حلية الاولياء (١/٢٣٦) .
(١٩٥) حلية الاولياء (١/٢٣٦) .
(١٩٦) رياط الشام : جمع رائطة ، وهي الملاءة كلها نسج واحد وقطعة واحدة، وكل ثوب لين رقيق .
(١٩٧) عصب : جمع عصابة ، وهي مايشد به منديل أو خرقة ، والعمامة ، والتاج .

بها إلى معاذ فقال : « يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك ! »، فقال : « رحمه الله ووصله ! تعالي يا جارية ! اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا » ، فاطلعت امرأة معاذ فقالت : « ونحن والله مساكين ! فأعطِنا ! » ، ولم يبق في الخرقة إلاّ ديناران ، فدحا(١٩٨) بهما إليها . ورجع الغلام إلى عمر رضي الله عنه ، فأخبره ، فسرّ بذلك وقال : « إنّهم أخوة بعضهم من بعض » (١٩٩) .

وذكر معاذ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال له : يـا معاذ انطلق فأرحل راحلتك ثم إئتني أبعثك إلى اليمن » ، فانطلق معاذ ، فرحل راحلته ثم جاء ووقف بباب المسجد ، حتى أذن لـه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخذ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بيد معاذ ، ثمّ مضى معه فقال : « يا معاذ إني أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء بالعهد ، وأداء بالأمانة ، وترك الخيانة ، ورحمة اليتيم ، وحفظ الجار ، وكظم الغيظ ، وخفض الجناح ، وبذل السّلام ، ولين الكلام ، ولزوم الإيمان ، والتفقّه في القرآن ، وحبّ الآخرة ، والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل ، وأنهاك أن تشتم مسلماً أو تكذّب صادقاً ، أو تصدّق كاذباً ، أو تعصي إماماً عادلاً . يا معاذ ! اذكر الله عند كلّ حجر وشجر ، وأحدث مع كلّ ذنب توبة : السرّ بالسرّ ، والعلانية بالعلانية » .

ولما أراد النبيّ صلّى الله عليـه وسلّم أن يبعث معاذاً إلى اليمن، ركب معـاذ رضي الله عنـه ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يمشي إلى جانبه يوصيه ، فقال : « يا معاذ ! أوصيك وصيّة الأخ الشّفيق ، أوصيك بتقوى الله » ، فذكر نحوه وزاد : « وَعِد المريض ، وأسرع في حوائج الأرامل والضعفاء ، وجالس الفقراء والمساكين ، وأنصف النّاس من نفسك ، وقل

(١٩٨) دحا : دفـع .
(١٩٩) حلية الاولياء (١/٢٣٦ ـ ٢٣٧) .

الحق ، ولا تأخذك في الله لومة لائم » (٢٠٠) .

وكانت وصية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم هذه لمعاذ ، منهاج حياته العملية حتى ذهب إلى الله . وقال معاذ : « أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً بيدي ، ثم قال : « يا معاذ ! والله إني لأُحبّك ! » ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ! وأنا والله أحبّك . فقال : أوصيك يا معاذ الا تدعنّ في دُبر كلّ صلاة أن تقول : اللّهم أعِنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (٢٠١) ، فأوصى بها معاذ أصحابه .

ودخل معاذ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : « كيف أصبحتَ يا معاذ ؟ » ، قال : « أصبحت مؤمناً بالله تعالى » ، قال : « إنّ لكلٍّ قول مصداقا ، ولكل حقٍّ حقيقة ، فما مصداق ما تقول ؟ » ، قال : « يا نبيّ الله ! ما أصبحتُ صباحاً قط ، إلاّ ظننتُ أني لا أُمسي ، وما أمسيت مساءً قط إلاّ ظننت أني لا أُصبح ، ولا خطوت خطوةً إلاّ ظننت ألاّ أتبعها أخرى ، وكأني أنظر إلى كلّ أُمّة تُدعى إلى كتابها معها نبيّها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله ، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النّار وثواب أهل الجنّة » ، قال : « عرفتَ فالزم » (٢٠٢)

ولما أصيب أبو عُبَيْدَة بن الجرّاح في طاعون (عَمَوَاس) (٢٠٣) استخلف معاذ بن جبل ، واشتدّ الوجع فقال الناس لمعاذ : « ادْعُ اللهَ يرفعْ عنّا هذا الرِّجز » ، قال : « إنّه ليس برجز ، ولكنّه دعوة نبيِّكم صلّى الله عليه وسلّم . وموتُ الصالحين قبلكم ، وشهادة يختصّ بها الله مَنْ يشاء

(٢٠٠) حلية الاولياء (١/ ٢٤٠ — ٢٤١) .
(٢٠١) حلية الاولياء (١/ ٢٤١) .
(٢٠٢) حلية الاولياء (١/ ٢٤٢) .
(٢٠٣) عمواس : كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وكانت القصبة في القديم . وهي ضيعة جليلة على ستة أميال من الرحلة على طريق بيت المقدس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٢٢٦) .

منكم . أيّها النّاس ! أربع خلال مَنْ استطاع أن لا يُدْرِكَه شيء منهنّ فلا يدركه » ، قالوا : وما هي ؟ ! قال : « يأتي زمان يظهر فيه الباطل ، ويصبح فيه الرّجل على دِيْنٍ ويُمسي على آخَرَ ، ويقول الرجل : والله ما أدرى على ما أنا ، لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة ، ويُعْطى الرّجل المال من مال الله على أن يتكلّم بكلام الزّور الذي يُسْخِط اللهَ . اللّهُمّ آتِ آل معاذ نصيبهم من هذه الرّحمة » ، فَطُعِنَ ابناه ، فقال : كيف تجدانكما ؟ » ، قالا : « يا أبانا ! الحَقّ من ربّكَ فَلاَ تَكُوْنَنّ من المُمتَرين » (٢٠٤) ، قال : « وأنا ! ستَجِداني (إن شاءَ اللهُ من الصّابرين) ٢٠٥ » . ثمّ طعنت امرأتاه فهلكتا ، وطُعِن هو في إبهامه فجعل يمسّها بفيه ويقول : « اللّهم إنّها صغيرة ، فبارك فيها ، فإنك تبارك في الصغير حتى هلك .

وحضر أحد أصحابه ساعته الأخيرة ، فقال : « إني لجالس عند معاذ بن جبل وهو يموت ، فهو يَغْمى عليه مرّة ويُفيق مرّة ، فسمعته يقول عند إفاقته : « اخنُق خَنِقَكَ ، فوَعِزّتاك إني لأحبّك » .

وفي رواية أخرى ، أنّ الطّاعون أخذ معاذاً في حَلْقه ، فقال : « يا رب ! إنّك لتخنقني ، وإنّك لتعلم أني أُحبّك » (٢٠٦) .

ولما حضر معاذاً الموتُ ، قال : « انظروا ، أصبحنا ؟ » ، فقيل له : « لم تُصبح » ، فقال : « انظروا ، أصبحنا ؟ » ، فقيل له : « لم تُصبح » ، حتى جاء الصباح ، فقيل له : « قد أصبحتَ » ، فقال : « أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ! مرحباً بالموت مرحبا ، زائر مَغِبّ ، حبيب جاء على فاقة ،

---

(٢٠٤) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ١٤٧) .

(٢٠٥) الآية : ستجدني ان شاء الله من الصابرين من سورة الصافات (٣٧ : ١٠٢) .

(٢٠٦) طبقات ابن سعد (٥٨٨/٣ ـ ٥٨٩) وانظر حلية الاولياء (٢٤٠/١) .

اللّهم إني قد كنتُ أخافك ، فأنا اليوم أرجوك . اللّهم إنّك تعلم أني لم أكن أحبّ الدنيا وطول البقاء فيها ، لكري الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة السّاعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حِلَق الذِّكر » (٢٠٧) .

وكانت لمعاذ امرأتان ، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى ، ثمّ توفيتا في السّقم الذي أصابهما في طاعون عَمَوَاس والناس في شغل ، فدفنتا في حفرة ، فأسهم معاذ بينهما ، أيتهما تقدّم في القبر (٢٠٨) ، وذلك لشدّة ورعه وتوخيه العدل في معاملتهما وهما على قيد الحياة وبعد الموت .

وكان مثالاً في العدل بين زوجتيه في حياته ، فقد كان تحت معاذ امرأتان ، فإذا كان عند أحداهما لم يشرب من بيت الأخرى الماء (٢٠٩) .

وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حين بعثه إلى اليمن قال له : « اخلص دينك يكفكَ القليل من العمل »(٢١٠) .

وأخلص معاذ دينه غاية الإخلاص ، وعمل بما علم غاية العمل ، وحاسب نفسه حساباً عسيراً حتى على أبسط الأمور في نظر قسم من المسلمين : « ما بزقت عن يميني منذ أسلمت » (٢١١) ملتزماً بها أشدّ الالتزام . فهو بحق : صحابيّ كبير القدر (٢١٢) ، من أفضل شباب الأنصار (٢١٣) ، وأحد الأربعة الذين افتخر بهم الخزرج إذ جمعوا القرآن في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولم يجمعه أحد غيرهم ، وأحد الثلاثة الذين كسروا آلهة بني سَلِمَة (٢١٤)

(٢٠٧) حلية الاولياء (١/٢٣٩) واسد الغابة (٤/٣٧٧ – ٣٧٨) .
(٢٠٨) حلية الاولياء (١/٢٣٤) .
(٢٠٩) حلية الاولياء (١/٢٣٤) .
(٢١٠) حلية الاولياء (١/٢٤٤) .
(٢١١) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٦) .
(٢١٢) البداية والنهاية (٧/٩٤) .
(٢١٣) الاصابة (٦/١٠٧) .
(٢١٤) الاستبصار (١٣٦ – ١٣٧)

وقد صوّر عمر بن الخطّاب حصيلة حياة معاذ عالماً وقانتاً أحسن تصوير ، فقال : « لو أدركت معاذ بن جبل فاستخلفته فسألني ربي عنه ، لقلت : يا ربي ! سمعت نبيّك يقول : إنّ العلماء إذا اجتمعوا يوم القيامة ، كان معاذ بن جبل بين أيديهم قَذْفَة حَجَر »(٢١٥) .

ولم يكن سيِّد العلماء ، بل كان سيِّد العلماء العاملين بعلمهم ، حتى استحق بعلمه وعمله أن يتولى أعلى منصب قياديّ على المسلمين ، منصب الخلافة ، مرشحاً من شخصية نادرة لا تجامل ولا تحابي : عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

لقد كان معاذ عالماً جليلاً ، عاملاً بعلمه ، مخلصاً في عمله ، محافظاً على كرامة العلم والعلماء .

وكان تقيّاً ورعاً ، قوّاماً صوّاماً ، أتعب نفسه في عبادة الله وطاعته ، فكان من الأولياء الصالحين ، والعُبّاد المتّقين ، وكان مثـالاً يُحتذى في علمه وصلاحه وتقواه في أيامه ، وبعد رحيله عن الدنيا ، ما بقي للعلم منزلته ، وللورع مكانته .

٣ ـ الرَّجُل :

بعد هجرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، آخى بين معاذ وعبدالله بن مسعود (٢١٦) لا اختلاف فيه عندنا (٢١٧) . وأما في رواية : أنّ النبي صلّى الله عليه آخى بين معاذ وجعفر بن أبي طالب (٢١٨) ، فكيف يكون هذا ؟ وإنما كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بعد قدوم رسول الله

---

(٢١٥) طبقات ابن سعد (٣/٥٩٠) .
(٢١٦) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٤) والاستيعاب (٤/١٤٠٣) وانساب الاشراف (١/٢٧١) والاستبصار (١٣٦) واسد الغابة (٤/٣٧٦) .
(٢١٧) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٤) .
(٢١٨) سيرة ابن هشام (٢/١٢٤) وجوامع السيرة (٩٦) والدرر (٩٩) .

صلّى الله عليه وسلّم المدينة وقبل غزوة بَدْرٍ ، فلما كان يوم بَدْرٍ ونزلت آية الميراث ، انقطعت المؤاخاة ، وجعفر بن أبي طالب قد هاجر قبل ذلك من مكّة إلى الحبشة ، فهو حين آخى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أصحابه كان بأرض الحبشة ، وقدم بعد ذلك بسبع سنين (٢٢٠) .

وقد آثرت أن أضع مؤاخاة معاذ بابن مسعود عند الهجرة في أيامه الأولى ، لأشير إلى أنّ أكثر أخبار معاذ رواها ابن مسعود . مما يدل على أثر هذه الأخوة في نفسيّة هذين الصحابين الجليلين في حياتهما وبعد انتقالهما إلى دار البقاء .

وكان معاذ على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم شاباً جميلاً سمحاً من من خير شباب قومه ، لا يُسأل شيئاً إلاّ أعطاه ، حتى أدّان ديناً أغلق ماله ، فكلّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غرماءه ، فلم يضعوا له شيئاً من دينه الذي بذمّته ، فلو تُرك لكلام أحد لتُرك لمعاذ لكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ودعاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلم يبرح حتى باع ما له وقسمه بين غرمائه ، فقام معاذ لا مال له ، فبعثه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى اليمن ليجبره . وكان أوّل مَنْ حُجز عليه في هذا المال معاذ . وكان غرماء معاذ يهوداً ، فلهذا لم يضعوا عنه شيئاً (٢٢١) .

وتَوفّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، واستُخلف أبو بكر ، ومعاذ على اليمن ، وكان عمر بن الخطّاب عامئذٍ على الحجّ ، فجاء معاذ إلى مكّة ، ومعه رقيق ووصفاء على حِدَةٍ ، فقال له عمر : « يا أبا عبدالرحمن ! لمن هؤلاء الوُصفاء ؟ » ، قال : « هم لي » ، قال : من أين هم لك ؟ » ، قال : « أُهدُوا

(٢١٩) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٦) .

(٢٢٠) انظر سيرة جعفر بن ابي طالب في كتابنا : قادة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢٢١) حلية الاولياء (١/٢٣١ ــ ٢٣٢) وانظر طبقات ابن سعد (٣/٥٨٤) .

لي » ، قال : « أطعني وأرسل بهم إلى أبي بكر ، فإن طيّبهم لك ، فهم لك» ، قال : « ما كنت لأطيعك في هذا ! شيءٌ أهديَّ لي أرسل بهم أبي بكر ؟ ! »

وبات معاذ ليلته ثمّ أصبح ، فقال : « يا ابن الخطّاب ! ما أراني إلاّ مطيعك ! إني رأيتُ الليلة في المنام كأني أجَرّ أو أقاد – أو كلمةً تشبهها – إلى النار ، وأنت آخذ بحجزَتي » (٢٢٢) ، فانطلق بهم إلى أبي بكرٍ ، فقال « أنت أحقّ بهم » ، فقال أبو بكر : « هم لك » .

وانطلق بهم معاذ إلى أهله ، فصفّوا خلفه يصلّون ، فلما انصرف قال : « لمن تصلّون ؟ » ، قالوا : « لله تبارك وتعالى » ، قال : « فانطلقوا فأنتم له » ، وأعتقهم .

ومن الواضح أنّ معاذاً كان مرهف الحسّ ، نقيّ الضمير ، صافي السّريرة ، فأثّرت فيه نصيحة عمر ، ولكنّه تظاهر برفضها بالكلام ، ثم عاد إلى قبولها بإيعاز عن عقله الباطني ، فلم يرضخ لموافقة أبي بكر على تطييب الهدايا له ، بل تنازل عنها مختاراً ، وحينذاك ارتاح ضميره نهائياً إلى هذا الحلّ الذي اقتلع الشك من جذوره ، واطمأن اطمئنان التقيّ الورع الذي يبتعد عن الشبهات كما يبتعد عن المحرّمات .

وبعد التحاق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالرفيق الأعلى ، وانتصار الإسلام على المرتدين ، واصل معاذ سيرته في الجهاد ، فقاتل يوم اليرموك(٢٢٤) وشهد تلك المعركة الحاسمة التي كانت في سنة ثلاث عشرة الهجرية (٢٢٥) ، إذ خرج إلى الشام (٢٢٦) ، واختار ميدان جهاده هناك .

---

(٢٢٢) الحجزة : موضع شد الأزار في الوسط ، وموضع التكة من السراويل.
(٢٢٣) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٥ – ٥٨٦) و (٣/٥٨٨) وانظر حلية الاولياء (١/٢٣٢) والاستيعاب (٤/١٤٠٥) .
(٢٢٤) الاستيعاب (٤/١٤٠٢) والاستبصار (١٤٠) .
(٢٢٥) الطبري (٣/٣٦٤) .
(٢٢٦) الاستيعاب (٤/١٤٠٥) .

وبعد أن أكمل المسلمون فتح بلاد الشّام واصل معاذ جهاده العلميّ في تلك البلاد ، فكان له جولات علميّة في دمشق وحمص وغيرهما من الأمصار ، وكان له طلاّب كثيرون ومدرسة خرجت العديد من المحدّثين والفقهاء والصالحين .

ومن مزايا معاذ غيرته الشديدة على عرضه ، فقد دخل قُبّته ، فرأى امرأته تنظر من خرق القُبّة ، فضربها . وكان معاذ يأكل تفّاحاً ومعه امرأته ، فمرّ غلام له ، فناولته امرأته تُفّاحةً قد عَضّتها ، فضربها مُعاذ (٢٢٧).

وكان معاذ شاباً جميلاً (٢٢٨) ، آدم (٢٢٩) وضّاح الثنايا أكحل العينين ، طُوالاً أبْيَضَ ، حسن الثّغر ، عظيم العينين ، مجموع الحاجبين جَعْداً ، قَطَطا (٢٣٠) من اجمل . الرجال (٢٣١) ، حسن الشعر والثغر (٢٣٢)

ويبدو أن الذي وصفه بأنّه شديد السّمرة رآه في السفّر وهو يعاني وعثاء السفر ، والذي وصفه بأنه أبيض رآه في الحضر وهي في نعيم الحَضَر ، وصفاته البدنيّة تدلّ على أنّه جميل القسمات يملأ الأعين قدراً وجلالا .

لقد كان من أحسن النّاس وجهاً ، وأحسنه خُلُقاً ، وأسْمَحه كفّاً (٢٣٣) .

وكان أعرج (٢٣٤) ، فصلّى بالناس في اليمن ، فبسط رجله ، فبسط الناس أرجلهم ، فلما صلّى قال : « قد أحسنتم ، ولكن لا تعودوا ، فإني

---

(٢٢٧) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٦) .
(٢٢٨) الاصابة (٦/١٠٦) والاستيعاب (٤/١٤٠٤) .
(٢٢٩) آدم : شديد السمرة .
(٢٣٠) جعد قطط : يقال شعر قطط : قصير جعد ، والجعد : كثير الشعر متجمعه ، انظر طبقات ابن سعد (٣/٥٩٠) .
(٢٣١) الاصابة (٦/١٠٦) .
(٢٣٢) البداية والنهاية (٧/٩٤) .
(٢٣٣) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٧) .
(٢٣٤) المحبر (٣٠٤) والمعارف (٥٨٣) .

إنّما بسطت رجلي في الصّلاة ، لأني اشتكيتها » (٢٣٥) .

وكان لمعاذ ابنان ، أحدهما عبدالرحمن ، ولم يُسَمّ الآخر ، ويكنى معاذ : أباعبدالرحمن من الولد أيضاً: أمعبدالله ، وهي من المبايعات (٢٣٧) .

وكانت له زوجتان(٢٣٨) ، وقد توفى معاذ بطاعون عَمَوَاس سنه ثماني عشرة الهجرية (٢٣٩) (٦٣٩) م ، وولد سنة عشرين قبل الهجرة (٢٤٠) (٦٠٣ م) وتوفى وهو ابن ثمان وثلاثين سنة قمرية (٢٤١) وست وثلاثين سنة شمسيّة ، ودفن بالقصير المعيني في غور الأردن (٢٤٢) ، كما توفي في هذا الطاعون قبله ولداه وزوجتاه ، ولا عَقب له (٢٤٣) .

وكان معاذ من عمّال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر الصّديق رضي الله عنه على اليمن ، وعمر بن الخطّاب على أرض الشّام خلفاً لأبي عُبَيْدَة بن الجرّاح ، فقد استخلفه أبو عُبَيْدة فأقرّه عمر (٢٤٥) ، ولكنّه لم يلبث إلاّ قليلاً حتى توفاه الله بطاعون عَمَوَاس (٢٤٦) .

ورحل معاذ عن الدنيا ، ولكن بقي علمه مسطّراً في كتب علوم القرآن والحديث والفقه ، يتلقّاه الطلاّب ويتدارسه العلماء ، وبقي القدوَة الحسنة في تقواه وورعه واستقامته وزهده وخلقه الكريم .

---

(٢٣٥) طبقات ابن سعد (٥٨٥/٣) .
(٢٣٦) طبقات ابن سعد (٥٨٣/٣) .
(٢٣٧) المعارف (٢٥٤) .
(٢٣٨) حلية الاولياء (٢٣٤/١) .
(٢٣٩) طبقات ابن سعد (٥٩٠/٣) والاستيعاب (١٤٠٥/٤) .
(٢٤٠) الجامع (٤٩٢/٤) .
(٢٤١) المعارف (٢٥٤) .
(٢٤٢) الجامع (٤٩٣/٤) .
(٢٤٣) المعارف (٣٥٤) وانظر العبر (٢٢/١) .
(٢٤٤) الطبري (٤٢٧/٣) .
(٢٤٥) ابن الاثير (٥٥٩/٢) .
(٢٤٦) البدء والتاريخ (١٨٦/٥) وتاريخ خليفة بن خياط (١٠٩/١) .

لقدكان معاذ رجلاً في أمّة ، وأمةً في رجل. فلا عجب أن تعجز النساء أن تَلِدْنَ مثل معاذ كما قال عمربن الخطّاب(٢٤٧) رضي الله عنه في معاذ .

السّفير

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مُعَاذ بنَ جَبَل إلى جُمْلَة اليمن ، داعياً إلى الإسلام ، فأسلم جميــع ملوكهم (٢٤٨) .

وكانت مهمّة معاذ في سفارته جزءً من مهماته الكثيرة في اليمن . فقد كان سفيراً ، وداعياً ، وأميراً ، وجابياً ، وقاضياً ، ومعلماً ، ومجاهداً .

وقد تطرّقنا إلى ذكر نشاطه المتعدّد الجوانب في اليمن وجنوبي شبه الجزيرة العربية ، وسأقتصر هنا على عوامل نجاحه سفيراً .

فقد كان معاذ من المسلمين الأولين الذين أثبتوا صدق ولائهم العميق وانتمائهم لعقيدتهم الجديدة واستعدادهم عملياً لحمايتها والدّفاع عنها وحماية حريّة نشرها بين الناس .

وكانت مهمّته الأولى في اليمن دعوة ملوكها ورؤسائها إلى الإسلام ، تمهيداً لنشر الإسلام في القبائل اليمنيّة من العرب وفي سكّان اليمن الآخرين من غير العرب .

وهذه المهمّة التي أوكلت إليه ، كانت بالنسبة إليه قضيته الأولى ، التي يعيش من أجل تحقيقها ، ولا يدّخر وسعاً بكلّ طاقاته الماديّة والمعنويّة في سبيل تحقيقها ، فهي مهمّةٌ خلقت له وخلق لها ، ويَعْتَبر نجاحه فيها أمنيّةً من أعزّ أمانيه وأغلاها على الإطلاق .

لقد كانت له (قضيّة) يسعى حثيثاً لتحقيقها ، وهي قضيّة الدّعوة إلى الإسلام ونشره بين الناس ، وكانت له (رسالة) واجبة الأداء للناس كافة ،

---

(٢٤٧) تهذيب التهذيب (١٠/١٨٧) .
(٢٤٨) جوامع السيرة (٣٠) .

والذين لهم (قضيّة) يعيشون من أجلها (رسالة) تستهوي قلوبهم وعقولهم معاً ، هم الذين يكتب لهم النجاح أو التفوّق بالنجاح .

وكان الانتماء الكامل للاسلام ، والإيمان الراسخ برسالته ، السببين الحاسمين من عوامل توفيقه سفيراً .

وكان من عوامل نجاحه في سفارته ، الفصاحة ، والعلم ، وحسن الخلق فقد كان معاذ فصيحاً متميزاً في فصاحته ، والنماذج التي ذكرناها من أقواله تدلّ دلالة واضحة على بلاغة عبارته ، وقوّة حجّته ، وسلامة أدلّته ، ونصاعة بيانه ، وسيطرته المطلقة على فنون القول .

وكان عالمَ الصحابة في علوم القرآن والحديث والفقه ، وأحد حاملي القرآن في حياة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن أصحاب الفتيا والمجتهدين في الدين .

وقد أصبح بعد انتقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الرّفيق الأعلى ، عالم العلماء وصاحب مدرسة علميّة تُشدّ إليها الرّحال .

وتفوّقه العلميّ يدلّ على ذكائه المتفوّق ، وحرصه على مجالس العلم والعلماء ، وعلى التعلّم والتعليم .

أما حسن خلقه ، فقد كان مثالاً رائعاً في حسن الخلق ، قال معاذ : « كان آخر ما أوصاني به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين جعلت رِجلي في الغَرْز (٢٤٩) : أنْ أحْسِنْ خُلُقَكَ مع الناس » (٢٥٠) ، يريد في رحلته إلى اليمن سفيراً .

وبقيت هذه الوصيّة السامية تتردّد في أعماق نفسه الى آخر لحظة من لحظات حياته : يعمل بها ، ويعلّمها للناس ، ويحثّ على تطبيقها عملياً ، والإسلام جاء ليتمّم مكارم الأخلاق .

---

(٢٤٩) الغرز : ركاب الرحل من جلد مخروز يعتمد عليه في الركوب . وفي الحديث ، «كان اذا وضع رجله في الغرز يريد السفر يقول : باسم الله» .

(٢٥٠) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٥) .

لقد كان سيِّداً ، فاضلاً ، عاملا ، جواداً ، كريماً (٢٥١) .

وكان يتحلّى بالصبر الجميل والحكمة البالغة ، وهما سببان من أسباب نجاحه سفيراً .

والصبر الجميل مزيّة من مزايا الخلق الكريم ، فقد صبر على ما عاناه في اليمن من مدٍّ وجَزْرٍ واطمئنان واضطراب ، وسلم وحرب ، وأمن وخوف ، وسعادة وشقاء ، صبر المؤمنين المحتسبين الذين يعتبرون المؤمن بخير على كلّ حال ، إذا أُعطي شكر ، وإذا منع صبَر .

وعالج أحداث اليمن في أيامه بما فيها من آلام وآمال بالحكمة والموعظة الحسنة ، فلم يهن ولم يجزع في حالة الشِدّة ، ولم يشتط ولم يتجبّر في حالة الرخاء ، فكان حكيماً صابراً في حالتي الشِدّة والرخاء ، لم ينس لحظة هدفه الحيويّ من سفارته ، ولم يقنط أبداً من رحمة الله ونصره .

وكان يتحلّى بسعة الحيلة وبُعْد النظر ، فعالج المشاكل بأسبابه الناجعة ، في النّصح والارشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحثّ على الابتعاد عن الفتن وبواعثها ، بالسياسة والعمل الصالح والقول السديد . ولكنّ إخفاق وسائله السلميّة التي دلّت على سعة حيلته وبُعد نظره ورجاحة عقله والتزامه بتعاليم الدين الحنيف ، لم تمنعه من إعلان الجهاد في الزمان والمكان الجازمين ، فجاهد بعقله تارة ، وبسيفه تارة أخرى ، لإعلاء كلمة الله ، فكان بحق أكبر من الأحداث ، ولم تكن الأحداث أكبر منه ، فسيطر عليها لمصلحة الإسلام والمسلمين ، ولم تسيطر عليه لمصلحة الكفّار والمرتدّين .

وكما كان معاذ يتحلّى برواء المخبر ، كان أيضاً يتحلّى برواء المظهر ، فقد كان رجلاً طُوالاً ، أبيض ، حسن الثّغر ، أكحل العينين ، براق

(٢٥١) الاستبصار (١٣٦) .

(٢٥٢) طبقات ابن سعد (٣/٥٩٠) وانظر الاستبصار (١٤٠) .

الثنايا (٢٥٢) ، حسن الشعر ، عظيم العينين (٢٥٣) جميلاً ، من أفضل سادات قومه ، سمحاً لا يمسك (٢٥٤) ، أحسن الناس وجهاً (٢٥٥) .

تلك هي مجمل عوامل نجاح معاذ في مهمّته سفيراً ، وهذه العوامل هي العوامل التي يجب أن تتوفّر في السفير المثالي في الإسلام ، بل هي العوامل التي يجب أن تتوفر في كلّ سفير ناجح في كلّ زمان ومكان وبكلّ دين من الأديان السماوية والنزعات الأرضيّة أيضاً وفي مختلف الأمم والشعوب والأوطان .

وكلّ الدارسين الذين يتدبّرون سيرة معاذ ، يستطيعون بسهولة ويسر استنتاج عوامل نجاحه سفيراً ، والمزايا التي كان يتمتّع بها السفراء المسلمون ، وعلى هديها يجري اختيارهم للنهوض بواجبات السفارات الإسلامية ، وبخاصة على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وخلفائه الراشدين .

مُعاذ في التّاريخ

يذكر التاريخ لمعاذ ، أنّه شهد العَقَبَة الثانية مع السبعين من الأنصار ، فكان من المسلمين الأولين السّابقين إلى الإسلام من الأنصار .

ويذكر له ، أنّه شهد بدراً وأُحُداً والخندق مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنال شرف الصُّحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول عليه أفضل الصّلاة والسّلام .

ويذكر له ، أنّه شهد حروب الردّة في اليمن ، وشهد معركة اليرموك الحاسمة هو وولده عبدالرحمن .

ويذكر له ، أنّه كان من سفراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ودعاته

(٢٥٣) الاستيعاب (٣/١٤٠٣) .
(٢٥٤) الاستيعاب (٣/١٤٠٤) .
(٢٥٥) أسد الغابة (٤/٣٧٦) .

ومعلميه وقضاته وعمّاله ، ومن عمّال الشيخين أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب رضي الله عنهما من بعده .

ويذكر له ، أنّه جمع القرآن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكان أحد أربعة من الأنصار جمعوا القرآن على عهده .

ويذكر له ، أنّه كان أحد أربعة من الصّحابة أمر النبيّ صلّى الله عايه وسلّم بأخذ القرآن عنهم .

ويذكر له ، أنّه كان أعلم المسلمين بالحلال والحرام ، كما شهد له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

ويذكر له ، أنّه أحد الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهم ثلاثة من المهاجرين وثلاثة من الأنصار أحدهم معاذ .

ويذكر له ، أنّه كان إمام العلماء ، وعالم الأئمة ، ومن المجتهدين في الدين على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبعد أن التحق بالرفيق الاعلى .

ويذكر له ، أنّه كان أمّةً في رجل ، ورجلاً في أمّة ، وأحواله ومناقبه غير منحصرة (٢٥٦) ، فكان أمّة قانتاً لله .

رضي الله عن الصحابيّ الجليل ، العقَبِيّ البَدْريّ ، العالم العامل ، المحدّث الفقيه ، الحافظ القاضي ، السفير المجاهد ، مُعَاذ بن جَبَل الأنصاريّ الخزرجيّ .



(٢٥٦) تهذيب الاسماء واللغات (٢/١٠٠) .

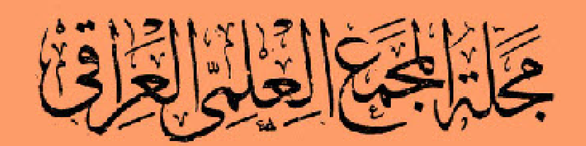
الفهرس

البحـوث

الصفحة

آراء وأنبـاء

الجزء الثالث — المجلد الرابع والثلاثون





رمضان المبارك ١٤٠٣ هـ
تمـوز ١٩٨٣ م

الفهرس

البحـوث

الصفحة

آراء وأنبـاء